نجمية الصادق التليسي

غات عند الرحالة

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

غات عند الرحالة

نجمية التليسي

غات عند الرحالة

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

عمر أبو بكر الصويني

نجمية التليسي
غات عند الرحالة

الطبعة الأولى : 2018 م

رقم الإيداع المحلي: 2018/319
رقم الإيداع الدولي: 3-907-25-9789959

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا
هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+
ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

مدينة غات عند الرحالة

اعداد/ نجمية الصادق التليسي

مراجعة / د. عماد الدين غانم / د. محمد علي الأعور

لمحة عامة(*):

غات تقع مابين فزان والصحراء الجزائرية علي دائرة عرض 22 شمالا ووخط طول 10شرقا وعلي ارتفاع 780م فوق مستوي سطح البحر وعلى مسافة 3كم عن وادي تنزوفت، على طريق قديم للتجارة الصحراوية القادم من كانو زندر أغادس والذي يؤدى الى تونس عبر غدامس والى طرابلس، إما عبر غدامس أو فزان والمنطقة مأهوله منذ العصور القديمة الامر الذي تثبته النقوش الصحراوية والمقابر مثل تلك الموجودة قرب البركت وتن الكوم ولكن لم يثبت على الاطلاق ان رابسا oppidum المذكورة عند بلينيوس كانت تقع هناك، وغات ذاتها المذكورة عند ابن بطوطة لايزيد عمرها عن 700 عام وازدهارها له علاقة بالتجارة عبر الصحراء. وتعتبر غات في أعين طوارق الازقر باريسهم ويدعوها العديد من

(*)- تشمل المعلومات غات منذنشاتها حتى منتصف القرن العشرين لمزيد من التفاصيل يتم الاتصال مع المؤلفين:

مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (م ج ل د ت)

طرابلس ـ هاتف: 021 . 3333996

فاكس: 021. 3331616

التجار" مارسيليا الصحراء وان التجارة العابرة للصحراء اخذت تتراجع رويدا رويداً منذ مطلع القرن العشرين.

ظلت غات تحت سلطة محلية حتى 1875 عندما ضمت الى ولاية طرابلس الغرب ووضعت فيها قائمقام وحامية عثمانية استمر حتى 1914 اذأنها احتلت لوقت قصير من الايطاليين واعيد احتلالها في 1930حتى يناير 1943حيث تولتها القوات الفرنسية ودخلها من جنوب الجزائر وكذلك قوات الجنرال لكرك الذي سيطر على فزان لقد غادرت القوات الفرنسية غات بعد الاتفاق الليبي الفرنسي 10 اغسطس 1955 واصبحت ضمن اقليم فزان. حجم المدينة 700م، 500 م لها سور يضم اربعة ابواب وتنضم اليها بساتين تدرمت وتونين وتتبعها الفيوت والبركت على مسافة 9كم جنوبا. ان قبائل غات تنقسم الى خمسة منها كيل تلق، كيل مكمظن يضاف اليها الاسر التى وفدت من توات وصاهرت وشكلت الطبقة الحاكمة وبنت تونين لسكناها ويضاف اليها اسر غدامسية، والطوارق الذين اصبحوا حضراً وخاصة في الفيوت والبركت وكثير من السود من بلاد السودان ويدعون هنا العتارة.

ان المياه في غات وفيرة يتم سحبها بواسطة الدواب تؤمن ري حوالى 21000 شجرة نخيل وبعض اشجار الفاكهه والحبوب الشتوية والصيفية ذرة قصب ويربي البدو المهاري والماعز وقليل من الغنم ويعمل الحرفيون في الجلد والخشب برزت غات على مدى قرون طويلة كمحطة رئيسية على طريق القوافل نحو أغادس وزندر كانو وتمبكتو واستمرت تؤدي هذه

الوظيفة حتى مطلع القرن العشرين عندما تراجعت التجارة العابرة للصحراء واخذت تنقلب تدريجياً الى سوق متواضع للتبادل بين البدو والحضر ويستوردون بعض السلع المصنوعة في فزان.[1] وبعد العثور على البترول شهدت غات تبدلات سريعة وفي اواخر القرن القرن العشرين اخذت تستعيد مكانتها في مجال اخر وهو السياحة الصحراوية نظرا لقربها من الاكاكوس والكثبان الرملية الجميلة ويشهد عدد السياح تزايدا ملموساً ويساعد وجود المطار على دعم هذه الحركة.



منظر عام لمدينة غات

Ei vol 2 p. 1032"Ghat "Depois art -(1)

اسم غات:ـ يرى ريشاردسون اعتماداً على دراسة كوللى بان اسم غات قد يكون مأخوذاً من اللغة المصرية القديمة، وتدل على الشمس أو الإله. إلا إن هذا التفسير لم يجد أصداء عند الرحالين اللاحقين أو الدراسات التي تتناول غات، ولامناص في اطار السعي لتقديم تفسير الاسم غات من إيراد روايات أهالي غات حول اسم بلدهم ولهم في ذلك ثلاث روايات. أولها: بان قافلة كانت تسير في الصحراء فعطشت، وعندما وصلت الموضع الذي تقوم فيه غات استغاث أفراد القافلة بالله استسقاء وكان مع القافلة كلب وقف على ندى ماء في المكان الذي توجد فيه عين غات الحالية[1]، فحفروا في ذلك المنطقة فنبع الماء وبذلك ظهرت العين التي قامت عليها المدينة. وتقول الرواية الثانية إن غراباً كان ينزل في مكان به بعض الماء ودعى الموضع غاغا ومنه اخذ اسم غات، أي من نعيق الغراب. أما الرواية الثالثة فتقول أن اسم المدينة مأخوذ من اسم ولى صالح ويدعي غوث وهو الذي بناها وتؤكد رسائل قديمة كتابة اسم مدينة غات على هذا النحو وان هذه التسميات تدل وجود ماء أو عين وهي السبب في نشأة المدينة وتسميتها.

إن أول ظهور لاسم غات في الكتابات العربية يعود إلى القرن الرابع عشر ويرد في كتاب رحلة ابن بطوطة التى اخترق فيها الصحراء من

(1)-جفت عين غات تماما ولم تعد تجرى منذ مايزيد على ثلاثة عقود.

الجنوب نحو الشمال وقد جاء في مؤلفة النفيس حرفيا "وصلنا إلى الطريق الذي يفترق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق توات" الا أن هذا الموضع الذي لم يحدد اسمه ابن بطوطة يمكن أن يتحدد لدينا مع شيء من التدقيق وحدده كراوزه بالموضع الذي يقع فيه بئر يدعى ازيو ولا يحدد ابن بطوطة ما هي غات، ويمكن الافتراض انه لم يكن اسم مدينة بل اسم منطقة حيث تقوم حالياً مدينة غات. وحسب روايات الرحالة الإنجليزية هوف أودني الذي زار غات مطلع العشرينات من القرن التاسع عشر كانت مدينة تقع في السابق على هضبة صغيرة. أما الآن فهي تقع عند أقدام الهضبة وفي أثر انهيار جزء في الهضبة فقد دمرت المدينة و قضي على جزء من أهاليها".

نشأة غات:

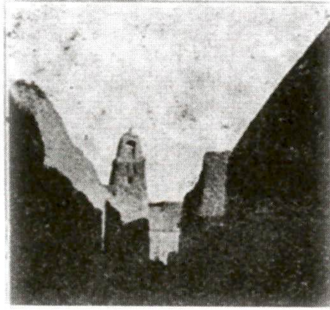
وإن الطبيعة الهضبة السائدة حول غات و على الأرجح عنصر الأمان أسهمت في نشأة غات على سطح هضبة تدعي جبل كوكمن، أما البقعة التي نشأت عليها المدينة فهي تمتد من شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الشرقي مدينة غات في الجنوب الغربي من ليبيا وتبعد عن مدينة طرابلس بمسافة حوالي 1360كم وعن سبها 600 كم وعن مرزق 585كم وعن غدامس 582 كم وعن جانت في الجزائر 80كم. يسكن طوارق الشمال مناطق جبلية عالية حيث ينقسمون إلى مجموعتين من اتحاد قبلي يضم الاهقار في الغرب والازقر في الشرق.

ويقوم عند أقدام المنطقة الجبلية سهل أو حوض مغلق من الشرق على مقربة من سلسلة جبال اكاكوس يسير وادي تنزوفت وفيها بعض مراكز العمران مثل واحة غات وتونين وفيوت ثم سردليس أو العوينات التي تقع على حافة صحراء تاتيا قرب حافة مرتفعات تادرات ويتخذ وادي تنزوفت في الغرب على مقربة سفح تاسيلي اسما أخر هووريرت إلا انه لايسير باتجاة جنوبي وكلا الواديين يحتويان جزئيا على ارض خصبة صالحة للزراعة، وبفضل ينابيع المياه التي تفجرت من أماكن مختلفة وقريبة من بعضها البعض بوادي تنزوفت تكونت واحات غات والبركت والفيوت. وقد بنى جزء من مدينة غات على ارض تتكون ترسبات مائية من وادي تنزوفت والجزء الأخر بنى على صخرة يقع على منحدر صخرى جنوب تلال كوكمن وتغمر مياه الوادي الأرض المنبسطة القريبة من المدينة.

تمتاز غات بموقع جيد، تتوفر فيه الحماية الطبيعية عند النهاية الجنوبية لمنخفض وادي تنزوفت ويمتد هذا المنخفض الكبير، الغني بمصادر المياه الجوفية من الشمال إلى الجنوب محصوراً بين جبال اكاكوس وبين جبال تاسيلى، في القديم لم تكن غات في مكانها الحالي إذ أن أطلال المدينة القديمة تقع إلى الجنوب بلدة غات اليوم ليست مبنية على أنقاض مركز التجارة الصحراوية في العهد الروماني حسب رأي علماء الآثار والسبب في اختيار الموقع الجديد قد تكون

الصراعات القبلية بين الطوارق حيث اتخذت غات الملامح الأساسية للمدينة الإسلامية وتعود نشأتها إلى أواخر القرن السابع عشر.

وتعتبر غات مدينة صغيرة كما إن بستاينها محدودة المساحة وتبدو الواحة بكاملها كدائرة لا تتجاوز محيطها أربعة أميال أما أشجار النخيل فتبدو مختلفة جدا إذ لا يعطى نصفها ثماراً كما أن ما يجنى من الباقي متوسط الجودة وهو ما يثبت بالدليل القاطع أن أشجار النخيل لا يعتمد على نوعية المياه لان الأمر في هذه الحالة سيجعل من نخيل غات وثمارها أجود من أي مكان أخر، لان بعض واحات فزان لا يستساغ للمياه فيها طعما بل وقد لا يختلف مطلقا عن المياه المالحة ومع ذلك تبدو أشجار نخيلها وهى في ابهى صورها ولا يضاهى تمرها أي بلح أخر. وتقوم على مقربة من غات واحات (تونين) و (تدرمت) كما توجد في الجهة الشرقية منها واحة فيوت وفي الجهة الغربية واحة البركت وفي جنوبها منخفض يطلق عليه اسم كرامة وتوجد بعد بئر رمسين ثم بعد ذلك في وادي فسيح غني بالمراعي وشجر الأثل وإلى الجنوب بعد أطلال القلعة التي من المحتمل أن يكون قد شيدها تن الكوم، كما يوجد في هذه الوديان الصغيرة كلها تقريباً قليل من المراعي، على أن هذه المنطقة هي منطقة مرور ليس إلا، وليست مكاناً للبدو، لان مراعي ((تيسيلى)) أفضل منها بكثير لان المياه في تسيلى غزيرة نسبياً.



محلة تدرمت في غات

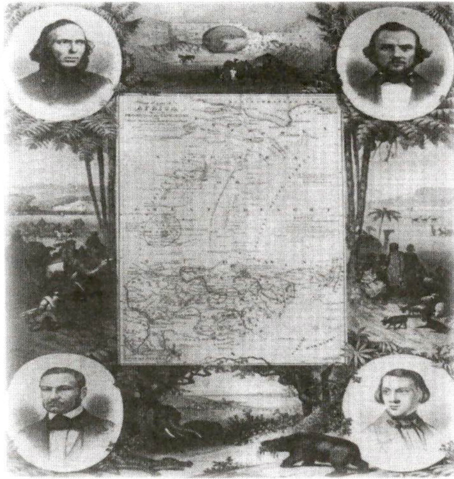
وأما ((أكاكوس)) فهوجدار صلب ووعر من أصعب الأمور عبوره والمرور فيه وكانت تقوم في هذه الأراضي أيام الرومان دي رابسا، وهي محطة حربية، أقيمت لمراقبة الوديان المؤدية إلى الصحراء.

ويبدو أن أصل غات لا يرجع إلى ((رابسا)) هذه. إذ لا بد أن تكون غات قد أنشئت بعد ذلك بزمن طويل على اثر الصلح الذي قام بين قبيلتي أزقر. وضواحي مدينة غات جرداء ورملية ومجدبة، على انه تقوم فيها مناطق مائية تزدهر فيها المزروعات

وصف غات عند الرحالين العرب والاوربيين: خطيت غات باهتمام رحالين عرب واوربيين بحكم وظيفتها كمحطة رئيسية على طريق القوافل الرابط ما بين البحر المتوسط وبلاد السودان وكمدينة سوق وبحكم تركيبها السكانية ووجود الطوارق ونورد فيما يلي جملة من النصوص الواردة في مؤلفات هؤلاء الرحالين طالما انها تتعلق بوصف

المدينة والتجارة والقوافل وما يرتبط بهذه الموضوعات. وفي كثير من الاحيان نورد نصوص هؤلاء الرحالة دون تدخل وتقدم في البداية نبذة مختصرة عن كل من الرحالين الذين وقع الاختيار عليهم.

يورد ذكر كراوزه في دراسته عن غات قائمة بالرحالة الاوربين الذين زاروا غات ويرتبهم حسب التسلسل الزمني لزياراتهم وبعد ان يذكر الايطالين كارلوماريا ودي ساليزيا في مطلع القرن التامن عشر يورد مجموعة الذين زاروها في القرن التاسع عشر وهم الالماني هورنمان 1800والانجليزيان كلابرتون وأودني 1822 والانجليزي ريشاردسون 1845 وثانية ريشاردسون والالمانيان بارت واوفرفيغ 1850واسماعيل بودربه 1858 والفرنسي دوفيريه 1861 والالماني فون بارى 1876 ـ 1877 والنمساوي كسيلاغ ثم الحشائشي وعبدالقادر جامي. ويجب ان يشار الى ان المنطقة كانت تحظى ببعض الكتب التى تقدم معلومات عنها مثل " قانون بلاد غات " كما انه يشار الى ان زاوية أو باري كانت تمتلك جملة من الكتب التاريخية ويذكر من االثقات بتاريخ المنطقة وفزان عموماً في القرن التاسع عشر الصالحين في أم الحمام والحاج أو في وادي تكثر فيه وحسن حبد الله الزواوي ولا يكتمل الحديث دون ذكر الحاج عثمان بن عمر الغاتي الذي اعتمد عليه كراوزه في دراسته عن غات وبشير الغاتي الذي كان يدرس الهوسه في جامعة برلين ما بين 1898 ـ 1903.



صور الرحالة ريشاردسون بارت وأوفرفيع وفوغل وخط رحلتهم الكبرى في العام 1830_1855

❖ الرحالة ادوني:

قام الرحالة الانجليزي أدوني في اطار بعثة برنو التى ضمت بالاضافة إليه كلابرتون ودنهام، بزيارة غات في يوليو 1822 قادماً اليها من مرزق. وهو الذي قام بوضع تقرير حول زيارته وصف فيها المدينة والمناطق المجاورة لها والتركيبة السكانية والاحوال الاجتماعية. ورغم عمومية معلوماته الا انها لفيت اصداء لدى الرحالين اللاحقين وخاصة ان معلومات الاوربيين حول غات ومناطق جنوب غرب ليبيا عموماً كانت ضحله. وسنحاول ان ننشر هنا معظم ماذكره أودني عن هذه الزياره.

"قمنا بعد الظهر بزيارة السلطان حيث فرشت الحصائر في القلعة في سقيفة صغيرة، لقد كان الرجل الشيخ جالسا ثم نهض لتحيتنا والترحيب بنا في المدينه، لقد اعتذر عن عدم انتظاره لنا حيث قال انه مريض ولم يخرج من البيت منذ مدة فقد كان يعاني من دودة غانا والماء الابيض في عينيه كان يرتدي ثوبا عتيقاً بالياً وسروالا بنفس اللون وكان يلف راسه بعمامة من قماش قديم لونه اصفر، وبالرغم من ثيابه البالية فان شخصيته توحي بالطيبة حتى شعرنا بانفسنا ونحن في خيمته باننا في بيوتنا. اعطيناه هدية وكانت عبارة عن سيف وقد سر به كثيراً وتمنى حتيت لو كانت الهدية برنوس، لقد كانت المقابلة ممتعة كثيراً وقد سر الجميع بنا وقد غمرنا السلطان العجوز بكرمه، وشعرنا بنواياه الحسنة نحونا بعد هذه الزيارة دعينا الى بيت الامين ابن القاضي، وكان شاباً ذا شخصية رائعة ومحترما من الجميع. والده الان موجود بغدامس لتسوية بعض امور منطقته صحبة بعض الاعيان من سكان المنطقة، وقد اوصى ولده باستقبالنا والاهتمام بنا لقد كان بيته مرتبا ترتيباً جيدا فقد فرش السجاد على آرائك مرتفعة حيث جلسنا، ورافقنا في هذه الزيارة بعض الناس الذين كانوا في القلعة حيث تمكنا من المحادثة وتبادل الحوار بفضل بعض من كان يفهم اللغة العربية. وعندما استفسرنا حول الحروف التارقية وجدناها تنطق تماما كما سمعناها تنطق من قبل اخرين. كنا هنا عند منبع العين ولكن خاب

املنا عندما لم نجد كتاب حول اللغة الطارقية، واخبرونا بانه لا يوجد أي كتاب حولها. بعض الطوارق فقط يتكلم العربية وقد استغربنا هذا الامر حيث ان بعض الطوارق يتعاملون مع اناس يتكلمون العربية فقط.

تعتبر مدينة غات غنية بغزارة المياه وهي محاطة باشجار النخيل تكثر فيها الاثل ولم يلاحظ في العين الفقاعات التى تشاهد في العيون بمنطقة وادي الشاطىء الا انها بوضوح ذات مساحة واسعة مثل عين تراغن لقد كانت المياه صافية ومذاقها عذب وموجودة بوفرة. تستخدم هذه المياه لرى مناطق واسعة ويتم ذلك عن طريق حفر قنوات في الارض حيث تزود المدينة بالماء من هذا المكان وفرة الماء العذب يعتبر نعمة كبيرة في كل بقعة من العالم وخاصة في المناطق الحارة وقد ادرك سكان هذه المنطقة هذاالامر حيث تجدهم هنا وفي المناطق الاخرى سعداء جدا لوفرة الماء وعذوبته كما توجد بعض الاماكن الصغيرة في هذه المنطقة جميلة جدا حيث تتنوع المناظر التى توجد فيها هنا وهناك حقول العشب وثمار البطيخ تنبت في حواشي سواقي الماء، ويوجد ايضا اشجار النخيل الممتلئة بالتمر الناضج، وايضا دوالي العنب المتسلقة في الاشجار وتوجد منصات من سعف النخيل تعلو الارض بمقدار خمسة اقدام تستخدم كأماكن للنوم وحماية الناس من خطر العقارب التى توجد بكثرة. اما عن مظهر المنازل فكانت منظفة ونظيفة وكان

المسجد من اجمل مساجد فزان، لقد كان كل شئ منظم وبسيط. لقد بنيت المدينة اسفل تل منخفض اما المدينة القديمة فقد بنيت فوق قمته ولكنها كما اخبرونا قد تهدمت وهجرها معظم السكان. في الحقيقة ليس هناك الان أي تل منها يحافظ على ارتفاعه الاصلي، وقد هبط منذ فترة ليست بعيدة جزء كبير من جبل مجاور وقد سمع صوت سقوط حجارته من مكان بعيد. اما عن تاريخ تهدم المدينة فلم نستطع ان نعرف عنه شيئا فالمدينة محاطة بسور يبدو في حالة جيدة وهو مبنى من الرمل والطين الابيض، ويبدو جميلا ورائعا توجد بوابة واحدة فقط في الشرق وكانت في الماضي عديد من البوابات الا انها الآن قد سدت واغلقت المنازل مبنية من نفس مادة السور ويبدو شكلها الخارجي وتنظيمها من الداخل مثل تلك المنازل التى في مرزق والمدن الاسلامية الاخرى. تقدر حجم مساحة المدينة مثل حجم مدينة اوباري وربما يكون عدد سكانها حوالى 1000 نسمة. وتوجد المقبرة خارج المدينة وهي مقسمة الى قسمين قسم للكبار واخر للاطفال وهذا التقسيم لم نلاحظه في فزان اما عن لغة الطوارق فهي خشنة حيث تصدر الاصوات من الحنجرة الا انها معبرة وقوية وبنقص الكتب وقلة الاهتمام المبذول في تنمية اللغة ادى الى جعلها في وضعية ناقصة وذات مستوى متدن. وبالنسبة لكتابتهم فهم قد يكتبون من اليمين الى اليسار او بالعكس او افقيه. ان وقار الطارقي ورزانته يعتبر عائقا كبير

امام الفن والطرب، فالرجال نادراً ما ينشدون الاغاني ويعتبرون الغناء لايناسب سوى النساء فقط. وصفت لنا الاغاني بانها جميلة ورائعة، الا أننا لم نسمع أيا من الرجال يقول الشعر او يردده. الناس هنا لهم احساس مرهف وهم باستطاعتهم ان يخبروك عن مشاهدتهم بكل دقة اكثر من أي تاجر مغربي التقيت به، فهم اناس متميزون في كل المواقف التي يظهرون ويشاركون فيها.

❖ الرحالة الانجليزي جيمس ريشاردسون (يعقوب 1806 ـ 1851)

عرف برحلتين الاولي قام بها في العام 1845 انطلاق من طرابلس وشملت جنزور والزاوية الغربية ويفرن والرجبان وغدامس ومنها الى غات ومرزق ثم العودة الى طرابلس ومكث في غات مايزيد عن الشهرين ونشر تقاريره عمها في كتاب ترجمه د/ الهادي ابو لقمه بعنوان تجوال في الصحراء ومنه تاخذ النصوص التالية. وتجدر الاشارة الى ان ريشاردسون بعد اربع سنوات من انجاز هذه الرحلة كلف برئاسة رحلة اكبر ضمت الرحالة الالماني الشهير هينريش بارت وأفرفيغ ثم فوغل وتوفي ريشاردسون في 4 مارس 1851 في نغورتو قبل نهاية الرحلة.



الرحالة الانجليزي ريشاردسون

لقد وصفاً ريشارسون غات بان بساتينها ذات خصوبة عالية وخلافاً لغات لا يقام بالبركت اى سوق مما يجعلها خارج نطاق حركة الغرباء الوافدين على غات، كما أن جل أهلها البالغ عددهم قرابة ستمائة نسمة يعودون فى أصلهم الى سكان منطقة الساحل فى الشمال حظيت بزيارة ممتعة من المدعو صلاح الابن الأكبر للحاج منصور الغدامسى الأصل، الذى أكد أن جل مرشدى القوافل بما فيهم كاندارا يبالغون فى مخاطر الطريق ليحققوا لانفسهم عائداً أكبر، أمر كل مساء بمدرسة ليلية فى أحد الشوارع حيث يكتظ بعدد من الاطفال فى حجرة صغيرة وهم يتلون فى وقت واحد درسهم القرآنى، وربما بشكل لا يختلف كثيراً عن بعض رياض الاطفال عندنا. ان تكرار تلاوة سورة من القران الكريم أو أى درس اخر طريقه شائعة منذ مدة طويلة فى منطقة الشمال الافريقى وفى بلاد الشرق على ما أظن، ومع أنها طريقة جديدة فى انجلترا وأوروبا الا أنها قديمة فى كل من اسيا وأفريقيا غير أن الطريف فى الامر اننى لم أشاهد مدرسة ليلية من قبل فى منطقة المغرب العربى، مما يجعلنى أنظر اليها على أنها عينه من النظام التعليمى المميز، وأنها هى التى اعطت الفرصة لكل ابناء الواحة من الذكور فى تعلم القراءة والكتابة، ذلك ان مفخرة أهل غدامس هى أن كل ابنائهم يقرأون ويكتبون، وان جميع المواطنين

بإمكانهم قراءة وكتابة القران، وهى حقيقة تبين ان ما ندعوهم بالبرابرة يملكون ما يعكس احساساً مؤلماً عند أبناء انجلترا الشرفاء.

فنحـن كانجليـز يمكننا أن نفخـر بما نتمتـع به من حريـات، وبوثيقـة الماجنا كارتـا، وباستقلالنا كأفراد وبتجارتنا وثرائنا وبتلك المناطق الواسعة التى نحكمها، الا اننا لا نستطيع ان نفاخر بما أنجزه بدو الصحراء، اذ يستحيل علينا بأن كل أبنائنا الذكور يملكون القدرة على قراءة الكتاب المقدس. فهذه الحقيقة المؤلمة والمخزية فى نفس الوقت، والتى يستحيل انكارها، تفرض علينا الشك فى معتقداتنا الدينية، وفى نوايانا للحب والمحافظة على الحرية، الا فى ظل مناقشة ان تكون حريتنا قد بنيت على رغبتنا الصادقة فى التطلع الى التعليم، وأننا رجال احرار لأن نصف شعبنا لا يستطيع كتابة اسمائهم.

أكد أحد وزراء الحكومة فى اجتماع للبرلمان، وكان جسوراً على العادة، بأننا كانجليز أقل شعوب أوروبا حظاً فى التعليم، واننا أكثر من ذلك نأتى بعد شعب نيوزيلندة المتوحش، لم يثر هذا الاعلان الجرىء، والصادر عن أحد الوزراء، أى رد فعل يثأر للكرامة ولا أى شعور بالغضب والأسـى ولا حتى همسة امتعاض من السادة اللوردات الذين وجهت اليهـم هذه الاهانة، التى لا بد أن تلحق السادة أعضاء البرلمان وكل فئات الشعب أيضاً.

إن تكرار الاعلان عن وصمة العار هذه، التى تلحق شخصيتنا القومية لم يلحقها أى أثر من مظاهر الشعور بالعار على مستوى إدراكنا القومى فما هو السبب يا ترى، وهل يكمن فى ذلك التعصب الاعمى الذى لا شفاء منه عند الشعب الانجليزى، والذى لا يتوانى من أجله للتضحية بشرفنا القومى وسعادة الجميع وبحريتنا وضميرنا ايضاً. إن الذى لا شك فيه هو أن أى مقترحات تتقدم بها الحكومة فى هذا الشأن لن يقبلها أحد لاختلاف فئاتهم الاجتماعية. إن الاختلاف الواضح بين طبقات الشعب لن يأتى بتعليم يستحق هذه التسمية، إلا إذا بلغ من وجهات نظرهم ومبادئهم الخاصة وفى هذا دوام انتشار العار والسلوك المخزى مما نعانيه من جهل بين ظهرانينا.

ولعل ما يستحق التسجيل والملاحظة هو اتخاذ هؤلاء الصغار في مثل هذه المدارس، الرمل وسيلتهم الاولى لتعلم القراءة، فمع انتشار الرمال داخل وخارج الواحات، وما ينجم عن ذلك من فقر وعجز الناس بالتالى عن شراء الورق وتوابعه، فإنهم يستعيضون عنه باستعمال هذه المادة المتوفرة من حولهم، والتى يظهر استعمالها الدائم فى عملياتهم الحسابية، التى يشاهدها المرء بوضوح بين طبقة التجار حيث يقوم بإصبع السبابة أو برأس الرمح، بدل القلم، ببيان نتائج حساباتهم البسيطة على الرمل أمامهم، أما اذا كان الامر اكثر جدية فإن المعنى يضع علامات تحدد نتائج ما توصل اليه برسم

علامات على شكل مربعات أو دوائر كإشارة الى نتيجة ما، علماً بانهم يحرصون على إزالة أثار ما خلفوه من أثار على الرمل وبالذات فى طرقات المدينة.

تعجبت من الطريقة الغريبة التي يتبعها الطوارق في تولية أحد سلاطينهم أو الشيوخ الذين ينتمون إلى الأسرة المالكة ذلك ان ابن اخت السلطان هو الذي يتولى العرش من بعده من بين بقية الطوارق، وهى العادة التي سمعت انها الطريقة السائدة أيضا بين السكان المغاربة القاطنين على ضفتي نهر السنغال، ولو ان ابن بطوطة يؤكد ان مثل هذه العادة هى ما يحدث بين السكان البربر فى منطقة توالاتن فى غرب الصحراء حيث يقول: ((يسمى الناس أنفسهم على أسماء أخوة أمهاتهم، وان أبناء الأب لا يرثون شيئا، لان الورثة الحقيقيين هم الأبناء الذكور لاخت الوالد)). ثم يمضى ليؤكد بانه لم يعرف شيئا من هذا القبيل الا عند وثني مالابار فى الهند. وهكذا يبدو أن أبناء الصحراء الأجلاف لا يملكون ثقة كافية فى وراثة الابن لابيه لاعتقادهم بان النسوة لا يجب ان يوضعوا فى مجابهة امتحان عسير يتعلق بالمحافظة على نقاء جنس لا تشوب دماءه شائبة، إذ كثيراً ما يتساءلون كيف يحق لنا أن نعرف إن كان ابن السلطان ابنه فعلاً، الا يجوز أن يكون ابناً لاحد العبيد، ومن يحق له أن يؤكد ذلك، أما فى

حالة ولادته من اخت السلطان فإننا عندئذ نعرف يقيناً لانه من نفس فصيلة دمه.

الى جانب ما سبق هناك حالة اخرى شاذة عن القياس فى السلم الاجتماعـي فى مدينة غات، فالمراة وحدها هى التى يحق لها الارث خلافا للرجل ذلك ان قانون حق الارث لباكورة الابناء حيث يقف شامخا الى جانب المراة، ولهذا فان اغلب منازل المدينة، رغم ان جل سكانها من المغاربة، هى فى الواقع ملك للنساء سواء عن طريق الارث او منحت لهن عند زواجهن من قبل الاصدقاء او الاقارب اذ تقف هاتان الحاتان الخارجتان عن القياس الى جانب المراة خلافا لما هو موجود فى المنطقة الاسلامية الاخرى.

انني على يقين الآن من انى لن أجازف وأخبر الطوارق بأن من يتولى شؤون بلادنا هى امراة حتى لا أثير غضبهم، انها حقيقة غربية يمكننى ان اضيف اليها بان اى ابن قلما ذهب أو يسافر مع ابيه لانه مربوط الى ركبة امه فى الغالب، أو يسير بجانبها يفقد إعجابه بابيه ويركز كل حبه لامه بدلا من ابيه، فعملية التغريب بين الابن ووالده ان صح التعبير يزداد اثرها بما جرت عليه العادة بان يمنع من الارث الذى لا يناله منه شىء الا عن طريق امه.

ذهبت لزيارة الشيخ حطيطة وخلافاً للعادة لم يطلب شيئاً ولو انه الح على ضرورة اختيار الجهة، التى انوى الذهاب اليها، فاعطيته وزميلا

له بعض الدواء ولدهشتى سمعت الاخير يحمد الله الذى خلق من الكفار اطباء لعلاج المسلمين.

قام ليلة البارحة عبيد الحاج ابراهيم البالغ عددهم قرابة الخمسين بالرقص والغناء أملا فى نسيان آلامهم وحالة الرق التى هم فيها، فقامت شابة منهن بتقليد شخصيات غريبة بعد ان تقمصت البورى او الشيطان اذ عندما ينفعل الزنجى بحدة يقال انه امتلك بمعنى ان البورى او الشيطان قد حل به، وهو تعبير لا يختلف كثيرا عن اصطلاح الشياطين الزرق، ففى مثل هذه الامسيات يتوهم العبيد انهم فى الغابة داخل وطنهم فينطلقون للغناء والرقص على تلك الانغام البدائية التى تنفثها معداتهم الموسيقية، ويشعرون بانهم احرار كغيرهم من باقى الاحياء.

خرجت هذا الصباح لاتمتع بمنظر عام للواحة برفقة عم صديقى جربوع الذى أمسك بيدى وساعدنى على صعود الصخرة القريبة التى يتيح الوقوف فوقها رؤية كامل الواحة والمناطق القريبة منها، فمن أعلى هذه الصخرة الواقعة شمال المدينة يحظى المرء بمنظر خلاب للمدينة والواحة واشجار النخيل القريبة وكل أطراف الصحراء فى منطقة وادى غات، فالى الجنوب ظهرت اشجار نخيل البركت، اما الى الشرق فتقوم سلسلة جبال سوداء تعكس ظلالها على تلك الكثبان الرملية المتفرقة التى تبدو قواعدها وكانها اكوام من الفضة.

يزيد ارتفاع السلسلة الجبلية عن متوسط ارتفاع باقى الجبال الصحراوية، فهذه الجبال كما يقول الطوارق بنتها الجنون لتحميم وممتلكاتهم من غزو العثمانين وياجوج وماجوج، كما تعمل ايضا كسد او حواجز تحرسهم من اتجاه الشرق حيث تبدو وكانها ملتصقة ببعضها اذ لا توجد بها أية فواصل او مجارى او اودية.

تحيط مجموعة من الكثبان الرملية بضواحى المدينة يبدو بينها قصر الحاكم وكانه خط دفاعى تعلوه بروج بها فتحات لاطلاق النار[1]، ففى هذا القصر يقطن الملك والوالى الحاج احمد امر الجميع.

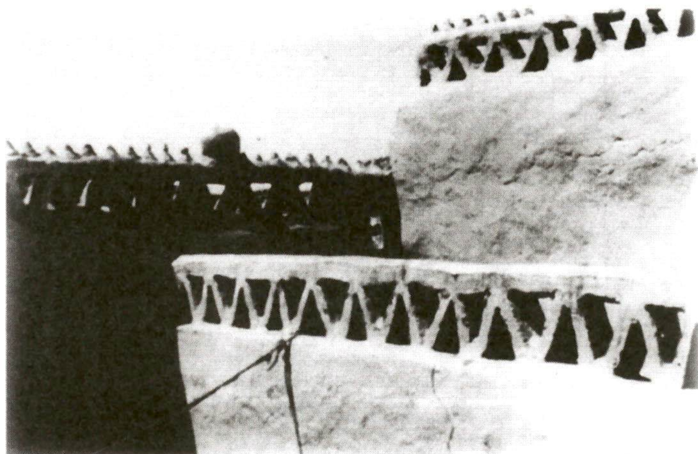
تتباين المظاهر التضاريسية القريبة ما بين سهل تنمو به اشجار النخيل، ومناطق الرمال واخرى جبلية مما يعطى مناظر متنافرة ولكنها جذابة على الرغم من كآبة منظر سلسلة جبال الويرات القريبة.

تعتبر غات مدينة صغيرة، كما أن حدائقها محددة المساحة وتبدو الواحة بكاملها كدائرة لا يتجاوز محيطها أربعة أميال، أما أشجار النخيل فتبدو مختلفة جداً اذ لا يعطى نصف ثماراً، كما ان ما يجنى من الباقى متوسط الجودة، وهو ما يثبت بالدليل القاطع أن شجرة النخيل لا تعتمد على نوعية المياه لان الامر فى هذه الحالة سيجعل من

(1)-يقصد قرية تونين.

نخيل غات وثمارها بالتالى أجود من اى مكان اخر. لان بعض واحات فزان حيث لا يستساغ للمياه طعما بل وقد لا تختلف مطلقاً عن المياه المالحة، ومع ذلك تبدو أشجار نخيلها وهى فى أبهى صورها، ولا يضاهى ثمارها اى بلح اخر.

وتتميز منازل غات بمنظرها الخراب الايل للسقوط سواء من الخارج أو من داخلها، وتفتقر كليه الى الطلاء الابيض اللامع كبيوت بلاد المغرب، ومع ان المدينة محاطة بمورد غزير من الحجارة اضافة الى ان الجير يمكن تحضيره بسهولة، الا ان المنازل كلها مبنية من الوحل والاجر المجفف فى الشمس، ولذا فان هطول امطار غزيرة عدة ايام كفيلة بازالة عدد منها، اما خشب البناء فانه بالطبع لا يزيد على المتوفر من جذوع النخيل.



نماذج من الطراز المعماري في غات

أما فيما يخص المياه فلن يخفى على المرء وجود بعض الحفر الكبيرة المستعمله كابار الى جانب العديد من ينابيع المياه الدافئة ولكن دون أن تصل درجة حرارتها الى تلك التى تقرب من الغليان فى واحة غدامس، إضافة الى وجود خزان كبير للمياه تعلو جوانبه أشجار النخيل وبعض الشجيرات التى تغطى جميع الحوافى باستثناء تلك الرقعة التى يستعملها الناس لجر المياه، علما بأن هذه المنطقة تقع داخل سور يفصلها عما حولها حيث يبدو أن المياه الجوفية تتسرب وتندفع تلقائيا حتى مستوى مياهه التى توفر ماء من الدرجة الاولى فى جودته إذ لم يلاحظ أحد أنها تسببت أمراض الحمى فى أى وقت.

تقوم طريقة الرى على نفس المبادىء التى يمارسها أهل غدامس ولكن باستخدام العبيد الذين يوكل اليهم رفع مياه الابار خلافاً لواحات فزان حيث تقوم الحيوانات بسحب المياه، التى تندفع تلقائياً فى منطقة غدامس.

تحتل أراضى المقابر التى تقوم عادة على أطراف الواحات الصحراوية، مساحة أكبر من تلك التيستغلها الاحياء على اعتبار ان كل قبر جديد لا بد له من توفير مكان لم يسبق استعماله من قبل لان اعادة استعمالها تأخذ وقتاً طويلاً من قبل معظم المسلمين.

لم أشاهد سوى قبر مطلى باللون الابيض وبالسؤال تبين أن شهرة صاحبه كرجل صالح تفوق شهرة غيره، ونال بذلك ليصبح المعلم الوحيد فى المقبرة، خلافاً للقبور الاخرى التى لا تعدو أكواماً من الحجارة صنعت دون تناسق على شكل قبر تميز منطقة الرأس فيه موضع قطعة حجر أكبر من غيرها.

لا يختلف الطابع المعماري لمنازل غات عما هو موجود فى غدامس باستثناء اللمسات النهائية لمبانى غدامس، التى تعرف عناية أكبر لادخال بعض الزخارف عليها، هذا فى الوقت الذى تغلف معظم جدران المنازل بطبقة من الوحل الذى يستعمل أيضاً كطبقة إضافية لجميع الأسقف ولو أن طريقة تنفيذها لا تخلو من مظاهر سوء الصنعة حتى أنها تبدو وكانهـا أبعد ما تكـون عـن الدقة التى لا يمكـن غض

النظر عنها أيضاً فى تلك الدواليب الحائطية التى تحفر فى الجدران الداخلية فى محاولة لاعطائها شكلاً مربعاً أو ثلاثى الابعاد، وهو الشكل الغالب أيضاً على ما قد يوجد من نوافذ.

يشكل خشب النخيل وأغصانه المادة المتداولة فى أغلب الاستعمالات التى تتطلب خشباً عادياً، ومع أن أبواب المنازل تتخذ هى الاخرى لشكل المربع، الا أن بعضها لا يمكن عبورها دون الانحاء الواضح وبالذات مع الطوارق الذين يندر أن يتحركوا دون رماحهم الطويلة، أما بخصوص الاقفال المستعملة داخل الواحات، أو حتى فى منطقة الساحل المغربي، فإن المرء لا يستطيع سوى إبداء إعجابه بطريقة صنعها هى والمفاتيح المستعملة معها اذ لن يكون بإمكان الانسان العادى سهولة التعامل معها. تفرش أرضية المنازل بما فى ذلك غرف النوم، بطبقة سميكة نوعاً ما من الرمل يتوقف مدى نعومتها ونظافتها على مدى قدرة واستعداد صاحب المنزل نفسه.

كما سبق الذكر ان مدينة غات ضمت سكان ثلاثة قرى وكانت قبلها وهي انغي وانتست وتن الكوم وتتشكل هذه القبائل اياجنن وكيل خبس وكيل تلق والامكمظن الا انه كانت كسوق ومحطة رئيسية لطرق القوافل نحو اغادس وكانو وكوكه و ضمت عناصر اخرى من الطوارق والانصار من اهل توات والغدامسيين والعتارة وقدر عدد بيوتهم بحوالى 560 بيتاً ويقدر كراوزه عدد السكان بحوالى 3360 على

اساس متوسط عدد افراد البيت الواحد 6 افراد ويزداد عدد السكان اثناء انعقاد السوق الذي يستمر طويلا في غات والذي يضم حوالى الف شخص من خارج البلدة ويذكر ريشاردسون انه عند وصوله غات في ديسمبر 1845 لم يجد مكاناً مناسباً لبقائه في المدينة بسبب كثرة التجار والغرباء في المدينة. ويبدو ان غات قد حافظت على نشاطها التجاري حتى مطلع القرن العشرين ولم يتراجع عدد سكانها كثيرا مثلما حدث في مرزق بعد ما تراجعت حركة التجارة من طريق طرابلس مروراً بمرزق، عند وصوله الى غات قام ابن حاكم غات الشاب بمرافقته إلى بيت يقيم به بعض الرقيق والده حيث ان المدينة تغص بالتجار والغرباء ولم يعد بالامكان توفير مكان اكثر ملاءمة مما اضطر تنزيل الحمولة خارج اسوار المدينة وذلك لعدة اسباب.

1. قلة اتساع شوارعها وصغر مساحاتها.
2. عدم السماح بدخول الابل وحيوانات النقل الاخرى عبر ابواب المدينة فان جميع انواع البضائع يتم نقلها الى داخل المدينة عن طريق عبيد بوابات المدينة.

خرج ريشاردسون يتفقد حاجياته حيث وجد حمولته كاملة دون نقص ولم يلحقها سوء مما اثار دهشته للامان الذي كانت تتحلى به مدينة غات وسكانها وما ان انتشرت الاخبار بان جميع الغرباء قد تركوا مدينة غات خلال عدة ايام اذ ستعود قافلة باتجاة الجنوب واخرى الى

الشمال كما تغادر قافلة باتجاة الشرق في حين تتجه الاخرى جنوب الغرب ورغم ان علاقات غات التجارية وازدهارها جعلها مطمعاً لكثير من البدو مما دفع سكانها الى تفادي المنازعات الا ان الجماعات المتنازعة او الطامعة لم تدعها تعيش في عزلة تتمتع بكل ماتدره عليها الحركة التجارية من ثروة وتنعم بالاستقرار والهدوء والامان وكانت ميدان صراع بين البدو من طوارق الازقر والتبو.

فقوافل السودان بما فيها الوافدة من بعض المدن الكبيرة وبالذات من كانو ومن اقليم التبو وتوات وفزان ومنطقة سوف وغدامس وطرابلس وتونس بل ومن بقية مراكز الساحل الشمالي، جاءت جميعها لزيارة سوق غات خلال موسم الشتاء هذا، حيث قدر عدد مختلف التجار اضافة الى اصحاب الابل ومرشدي القوافل بما يقرب من خمسائة رجل في حين بلغ عدد العبيد الذين جيء بهم من السودان قرابة الف، اما الابل التى استخدمت فبلغ عددها الفا وخمسين جملا في الوقت الذي توالى فيه وصول قوافل التموين من فزان. كما تتشكل البضائع الاساسية لهذه القوافل المتعددة والمتنوعة من العبيد وانياب الفيل ونبات السنا حيث قدرت قيمتها الاجمالية بما يساوي ستين الف دولار، وهو مبلغ سيتضاعف بوصول هذه السلع الى الاسواق الاوربية يلي هذه السلع في الاهمية ريش النعام وكميات هائلة من الجلود التى تاتي بعدها سلع متنوعة اقل اهمية ولكنها ذات طابع

سوداني كالملاعق والصحون الخشبية وما اليها من مستلزمات الطبخ والاحذية والامشاط الخشبية وأغلفة الوسائد الجلدية والاكياس والحقائب وقرب الماء الى اخر القائمة اضافة الى بعض الاسلحة كالرماح والخناجر والهروات والسيوف العريضة والدروع الجلدية وان بعض الاسلحة مصنوعة من المعادن كما ان شفرات السيوف مصنوعة في اوروبا او امريكا، اما الاسلحة المستعملة من قبل طوارق وغات وتوات فتكاد مصنوعة بالكامل في منطقة اهير.

تتكون مواد التموين القادمة من السودان او اهير اساسا من السمن والقصب والذرة والقوفولي الذي يعرف بالذرة الغاتية في بعض الاحيان كما ترد من اهير بعض كميات من الجبن الجاف الذي يتم دقه ان لم يكن طحنه قبل تناوله اضافة الى بعض شرائح اللحم البقري المجفف بدون ملح والى بعض الفلفل وقليل مما يعرف بلوز السودان، وكميات من البخور وبعض انواع اللوز يمضغ كالطباق. اما اخر انواع البضائع فيتمثل في تلك الكميات الوفيرة من قماش القطن التى تكفي كامل نصف سكان الصحراء اذ قد تصل منها حموله قوافل كاملة حيث يحول جزء هام منها عبر طريق ملتو، الى تمبكتو ومما يلاحظ ان اللون الازرق الغامق هو اللون الغالب على هذه الاقمشة يليه اللون الازرق الباهت رغم لمعانه، مع الاشارة الى ان الصبغة المستعملة لا تجهز بطريق مثلى وتترك اللون رديئا في كثير من الاحيان ويخلف اثارا على

الجسم، علما بان جميع الطوارق يعشقون الالوان الغامقة، اما الحيوانات الحية التى تجلب من السودان فلا تزيد عن بعض الاغنام وببغاوات اقليم اهير.

اما السلع المستوردة من اوربا فهي معروفة جيدا وتنحصر اساسا في الحرير والملابس الرخيصة ذات الالوان الزاهية التى يغلب عليها اللون الاحمر والاصفر والاخضر الباهت، ويجلب الحرير اما في حالته الاولية او مطرزاً كما تستورد كميات كبيرة من العقود والمرايا الصغيرة والاساور الخشبية الغامقة الالوان وشفرات السيوف والورق وامواس الحلاقة والقفازات وعطر الورد وبعض البسط القطنية الخشبية مع التاكيد على ان جميع مثل هذه المواد التى تصل اسواق وسط افريقيا هي من النوع العادي جدا.

كما تجلب البرانس والجرود من عدة جهات للبيع في سوق غات وان كان معظمها ياتي من واحتي سوف وتوات حيث تجتهد النسوة في تجهيز اعداد كبيرة منها لشدة الطلب عليها لما توفره من دفء وبالذات خلال الشتاء علماً بان بعضها قد يجد طريقه الى السودان للاستعمال اثناء اشتداد الرطوبة في موسم الامطار. لم الاحظ اية اسلحة نارية تعرض للبيع، كما ان كميات الذهب قليلة وغير ذات بال وتاتي كلها تقريباً من منطقة تمبكتو عن طريق توات، اما النقود المتداولة فاسبانية في معظمها لان المتداول من النقود العثمانية لايزيد عن

قطعتين معدنيتين تعرفان بالخروبة، وتساوي اولهما بنسا انجليزياً، اما الثانية فتبلغ ضعف القيمة السابقة، هذا بالاضافة الى تداول بعض القروش التونسية بين تجار الشمال الافريقي، وللعلم فان الوحدة الحالية المتداولة هي وحدة ربع الدولار الاسباني، التى تكون خمسة منها القيمة الحقيقية للدولار الاسباني، في حين يساوي مايعرف بالدولار العادي اربعة فقط من الوحدة النقدية المشار اليها مع الاشارة الى ان التجار السودانيين الذين تعودوا على التعامل بهذه الوحدات النقدية على ساحل القارة الغربي يرفضون التعامل بغير العملة الاسبانية، كما انه لا اثر لاية عملة ذهبية متداولة كما هو الحال مع العملات النحاسية، اضافة الى ان العملة العثمانية باستثناء ما ذكر غير قابل للتداول لشدة كره المواطنين لاصحاب هذه العملة.

❖ الرحالة الالماني هينريش بارت (عبد الكريم 1821 . 1865)

يعتبر بارت من مشاهير الرحالين حيث قام برحلتين مر خلالهما بمناطق عديدة من ليبيا اولهما في الاعوام 1845 ـ 1847 وشملت البلدان المتاخمة للشواطىء الجنوبية والشرقية للمتوسط ونشرت تقاريرها في كتاب خطط له ان يكون في جزئين ولم يصدر منه سوى الجزء الاول ويشمل وصف المنطقة الممتدة من طنجة حتى الاسكندرية واما الجزء الثاني فلم يصدر والرحلة الثانية 1850 ـ 1855 وهي الاطول والاشمل والاهم وقد انطلقت من طرابلس برئاسة

ريشاردسون وعضوية أوفرفيج نحو مرزق محطتها الاولى ومنها الى غات ثم الى أغادس وانقسمت بعدها الى رحلات مستقلة وفي حين توفي ريشاردسون ومن بعده أوفرفيغ ثم فوغل الذي ارسل ليحل مكانه صمد بارت ومعه مرافقة محمد القطروني من دجال غربي مرزق حتى النهاية وشملت رحلاته الى جانب مرزق وغات واغادس كانو وكوكه وحوض بحيرة تشاد وباقرمي وسكوتو وتمبكتو وصدرت تقاريره عن هذه الرحلة التى استغرقت خمس سنوات ونصف في كتاب في خمس مجلدات بعنوان " رحلات واكتشافات في شمال ووسط افريفيا ويتناول في الجزء الاول منه زيارته غات في يوليو 1850. وقد جاء في وصفه غات مايلي:



الرحالة بارت

تابعنا مسيرتنا[1] متوقعين بلوغ غات عما قليل وهي المحطة الكبيرة الثانية في رحلتنا، وهنا قام محمد شريف ابن أخ الحاج أحمد[2] وكان يرتدي لباساً مزركشاً نصفه طارقي ونصفه عربي ويمتطي حصاناً أصيلاً من سلالة التواتي. افترقنا عن حتيته حتى نتجنب فضول ومضايقة سكان المدينة وسرنا حول الجهة الشمالية لمرتفع المدينة وبالرغم من ذلك فقد هرعت مجموعة كبيرة من شبان المدينة وكونوا منظراً ممتعاً عندما تعرفوا على يعقوب (ريشاردسون) من خلال رحلته الماضية كذلك جاء أناس آخرون من المدينة وبقوا يتفرجون بلا مبالاة بينما كان آخرون يرحبون بنا بجفاوة. أما مظهر الصبيان مع مشط الشعر فوق الراس الحليق فكان شيئاً متميزاً أثار اهتمامنا.

وهكذا وصلنا إلى المزرعة الحديثة للحاج أحمد, والحاج أحمد هو حاكم المنطقة وقد خصص لاستقبالنا بناية ملحقة بمقره الرسمي. وهنا وجدنا أهم وجهاء البلدة الذين قاموا باستقبالنا بكل ود وترحاب. كان الحاج أحمد شخصية رائعة فهو رجل يتصف بالجدية والاحترام, وبالرغم من كونه غريباً عن المنطقة (مولود في توات) فإنه استطاع بحذاقته وصفقاته التجارية المربحة أن يصعد إلى ما يساوي مستوى الأمراء وفي نفس الوقت أسس مدينة جديدة بمرافق جيدة إلى جانب

(1)- يقصد السفر من مرزق الى غات

(2)- انه حاكم غات وهو من الانصار الذين وفدوا الى غات من توات

القديمة[1]، إن مركزه كحاكم لغات له علاقة استوجبت وقوفه إلى جانب رؤساء الطوارق، وأحياناً ضدهم وهذا هو الشيء المميز بالنسبة له وهو ما يتطلب اللباقة والحذر, أما ما يتعلق بنا فإنني مقتنع بأنه لم ينظر إلى قدومنا بامتعاض بل بالعكس فقد سره أن يقوم باستضافة بعثة الحكومة الانكليزية تحت سقف بيته لأنه لم يكن جاهلاً بالنوايا الحسنة لها, غير أن مركزه غير الاعتيادي وارتباطه لم تكن تسمح له بالتصرف بحرية حسب عواطفه. كما أنني لا أستطيع القول بأنه وجد التقدير والاعتراف التي تستحقها خطواته حسبما يبدو لي. إن أهم الموجودين في لقائنا الأول فيما عدا الحاج احمد ابن أخيه أحمد محمد شريف، وهو نفس الشخص الذي اصطحبنا عند وصولنا وكان هذا حاذقاً ولكنه شاب مغرور له طباع راقية وخلال مجريات رحلاتي التتقيت به فيما بعد في السودان. وقد شاركنا الحديث أيضاً محمد كافا وهو رجل مرح وظريف. لم يكن محل إقامتنا كما هو مبين في المخطط معتبراً ولكن الرياح الرملية الحارة التي كانت تهب في الخارج جعلتنا نتحمل هذا المكان المعتم.

لا يتكون مجتمع مدينة غات ولا مجتمع البركت من الامغاد في الوقت الحاضر على أنني اعتقد بأنه من المحتمل أنهم كانوا في العهود

(1)-يقصد تونين.

الأولى الطبقة المفضلة في غات وهذا ما تؤيده المعلومات التي تذكر بأن سكان غات الأوائل كانوا ينتمون إلى قبيلتين وهما كيل تلق ومكمظن.

ومدينة غات التي أتاح لها موقعها الملائم أن تستوطن منذ قديم الزمان لم يذكرها الكتاب العرب عدا ابن بطوطة الرحالة العربي المشهور من القرن الرابع عشر ويبدو أنها لم تكن في الماضي مكاناً واسعاً. وحتى في الوقت الحاضر فإنها مدينة صغيرة تحتوي على 250 بيتاً إلا أنها ذات أهمية تجارية معتبرة ومن المحتمل تطورها بشكل غير متوقع وذلك عندما تسمح مشاعر الغيرة لدى سكان توات بفتح الطريق الرئيسي من هذا المكان حتى تمبكتو.

يعمل سكان توات كل ما في جهدهم من أجل إبقاء الطريق المذكور مغلقاً حتى يتمكنوا من استنفاذ كل الفوائد المتأتية من تجارة القوافل لأن هذه القوافل كما سنشرح ذلك بشكل أوضح ستكون مجبرة على سلوك الطريق الملتوي عبر توات. وعند توقفنا في غات كان متوقعاً وصول قافلة من تمبكتو وقيل أن ابن الحاج أحمد كان فيها.

وبما أن المدينة تم وصفها مفصلاً من قبل السيد ريشاردسون[1] الذي مكث فيها فترة طويلة أبان رحلته الأولى فأنني سأحاول ذكر أسماء الأبواب التي تقطع الجدران غير المنتظمة للمدينة الصغيرة

---

(1)-انظر أعلاه.

وتدعى باب الخير, كلاله, تفغات وتملغات وليس هناك ساحة للسوق صغيرة كالتى توجد هنا في هذه المنطقة الصحراوية لذلك تقام الأسواق الخاصة بالقوافل بالطبع خارج المدينة كان منظر الهضاب الصخرية التي تطل على المدينة من على ارتفاع كبير والتي تضم كتابات بربرية وعربية تلبي فضول الرحالة بالاضافة إلى حوض ماء ليس بهذا الجمال الذي شاهدته عند هضبة رملية على مسافة قليلة إلى الغرب من دار الحاج أحمد.

هذه الهضبة الرملية التي جذبت انتباهي خلال تجوالي في ضواحي المنطقة تمكنت من تسلقها في عصر 22 من يوليو دون أن يلاحظني أحد, تمكنت وأنا مغطي بأحراش الأثل من وضع مخطط لكافة أرجاء الواحة بكل هدوء والتي اتمنى أن تكون قد أعطت للقارئ فكرة عن خطوط النخيل الطويلة المنفصلة عن بعضها البعض وعن الوادي العريض المقفر وعن الشعاب الصخرية لسلسة أكاكوس بطبقاتها الرقيقة من الجير والطين ورؤوس جبالها الشبيهة بالأبراج أما المدينة الصغيرة على اليسار في أسفل التلال الصخرية فإنها تشكل النقيض للاكواخ من سعف النخيل المنتشرة هنا وهناك. أما سكن الحاج أحمد الشبيه بدور الامراء فيشكل مركز الصورة كما يبدو على الجانب الشمالي للدار البناء الواطئ ذو السقف المسطح المخصص لنا.

بدا لي على الأقل أن الطبيعة على حقيقتها توفر صورة مثيرة خصوصيتها وبما أنني لست فناناً فإن جهدي ينحصر في محاولة إعطاء صورة صادقة قدر الامكان. من هذا التل انحدرت جنوباً متمتعاً بالمنتزه الجديد الذي أضافه الحاج أحمد إلى مزروعاته والشيء المؤكد هو أن هنا الرجل مثال لما يمكن عمله بجهد قليل في هذه الاماكن الملائمة وكيف أن الزراعة يمكن توسيعها لمناطق لا يمتلكها, ففي أقصى الجنوب حيث تم شتل جزء من المزروعات جري إنشاء حوض كبير للمياه بطول 100 قدم وعرض 60 قدم حيث تتجمع المياه من خلال الجهة الشمالية عبر منفذ غزير ويسقي هذا الحوض كذلك حقول الخضروات الممتدة لمسافات غير قليلة وهكذا يتوسع هذا الأمير الموسر, ولسوء الحظ ليس هناك إلا القليل ممن يتبعون مثله.

لا أود التكلم حول مباحثاتنا مع رؤساء الطوارق بل أذكر أنه بالامكان أن تتم بنجاح أكبر لو لم يتم الكشف عن رسالة الحكومة البريطانية إلى الرئيس جبور في اللحظة التي أعلن فيها جميع شيوخ القبائل الحاضرون استعدادهم لتوقيع العقد إذ تحول انتباههم الآن إلى الشأن الجديد, وبما أن الرسالة أتت على ذكر القضاء على تجارة الرقيق بشكل مباشر أصبحت المفاوضات صعبة للغاية والأسوأ من ذلك هو أن السيد ريشاردسون لم تكن له السلطة فيما يخص الهدايا من المؤونة المخزونة بل كانت بيد الحاج إبراهيم وهذا الشخص, وإن كان يحاول

أن يبدو في تفكيره متحرراً ولا يعمل في السر ضد منافسيه الإنجليز, فإنه سيبذل كل ما في وسعه من أجل جعل مسألة القضاء على تجارة الرقيق مستحيلة.

لقد كان الدخول في محادثات مباشرة مع رؤساء الطوارق في غاية الأهمية باعتبارهم سادة الطرق المؤدية إلى وسط أفريقيا وهو ما يتطلب اللباقة والثقة الكاملة أكثر من مجرد هدايا عينية, والطريقة التي جرت خلالها المفاوضات سلبت منا متعة الاقامة في هذا المكان كما حرمتنا من فرصة البحث المعمق في العلاقات العرقية في هذه الانحاء التي تكاد تكون مجهولة.

غمرني شعور بالسعادة عندما احسست وأنا فوق السرج بعد هذه الاقامة المزعجة في غات حيث رمقت من فوق ظهر المهاري المتكبر الصورة الرائعة للواحة بنظرة الوداع الأخيرة. بعد ميلين إلى الجنوب من المدينة كانت هناك نباتات شوكية تدعى تيمكاوه وأكواخ صغير منعزلة وبعد أن تركناها خلفنا وصلنا إلى نباتات ابركه وهي تنقسم إلى مجموعتين اتخذنا طريقنا بينهما على أننا كنا أكثر قرباً من أطراف النباتات الغربية التي تتكون من مجاميع كثيفة على العكس من النباتات الشرقية وتعود هذه النباتات إلى مدينة غات وهناك حيز صغيرة يفصلها عن البستان الصغيرالأول في البركت وهذا بدوره مفصول عن الواحة الرئيسية من خلال ساحة مفتوحة كانت مزروعة

بالحنطة خلال الأعوام الماضية، تورات البلدة الصغيرة البركت الواقعة على سفح جبل عن اعيننا خلف بستان نخيل كثيف على اليمين وكانت تبدو لنا بين الحين والآخر من خلال الفتحات الكائنة بين نخيل البستان. وكانت هذه المدينة آخر موقع سكني نشاهده قبل الولوج إلى الصحراء الواسعة التي تفصل بين وسط وشمال إفريقيا. كنا مستعدين لتحمل مسيرة يوم كامل ولم يكن التنلكوم كما يتذكر القارئ هم الوحيدون الذين غادروا مع حقائبنا بل قافلة كيلوي الصغيرة الذين تم الاتفاق معهم لحمايتنا ومرافقتنا أثناء الطريق. وقد سبقتنا هذه القافلة بمسافة ليست قليلة. ولم تكن دهشتنا قليلة عندما رأينا أنفسنا مضطرين للتوقف بالقرب من عدة نخلات متفرقة حيث ضربنا الخيام عند النهاية الشرقية للغطاء النباتي.

كان أوتاتي الذي رافقنا من غات ماشياً على قدميه هو الذي اختار هذا المكان، أما ريشاردسون الذي وصل بعدنا بفترة وتم إيقافه هو الآخر، فقد بدا متعجباً عندما علم بتوقفنا منذ ساعة مبكرة وبدا على جمالنا أنها بحاجة لعلف جيد إذ انه بدلا من جعلها تسرح وترعى في المراعي الغنية في غات أثناء إقامتنا لتستجمع قواها للرحلة كان أصدقاؤنا الطوارق يستخدمونها في أعمالهم.

تبعد مدينة البركت ميلا وربع عن مخيمنا وبما أني وصلت هذه المرة إلى الباب فقد قررت بعد تردد الولوج إلى الداخل، كانت المدينة

على شكل مربع منتظم تقريباً وتمتد على ساحة مفتوحة من الجهة الشرقية في أسفل مرتفع رملي وهي محاطة بسور طيني ارتفاعه 25 قدماً ومزود بأبراج مربعة.

دخلنا اغريم "الصغيرة والنظيفة" من الباب الشرقي وهي محصنة ببرج ولها منفذ جانبي يؤدي إلى فناء فيه بئر ومنه إلى ممر مسقف بأقواس ينتهي عند الشارع وكانت تجلس هنا عدة نساء بأجسام متكاملة وبملابس محتشمة عند حيطان البيوت ويبدو أنهن كن يتمتعن ببرودة الجو عند العصر لأنه لم يكن لهن ما يشغلهن كما أنهن لم يكن يعرضن شيئاً للبيع. وبالرغم من ارتدائي قميصاً سودانياً وبشرتي قد لوحتها الشمس فإنها بالنسبة لهن فاتحة اللون الأمر الذي أثار رعبهن لأن وجوههن لم تكن مغطاة فما كان منهن إلا أن دخلن بيوتهن مسرعات وهن يصحن "لا إله [إلا الله]" عند ذلك لم تجر مضايقتي أو إهانتي من أحد بل بالعكس إذ كان من دواعي سروري أن الكثير ممن صادفتهم كان يرد على تحيتي بلطف ولم يكن هؤلاء الناس من ذوي الاصول البربرية الصافية ولكن مع الاسف لم أكن في حالة أستطيع بها أن استشف أصولهم من خلال تبادل الحديث مع أحدهم. بدا أن هناك عدداً ليس بالقليل من السكان غير موجودين ويظهر أنهم ذهبوا إلى الحقول أي إلى بساتين النخيل للاهتمام بالمحصول لأن الثمار الآن في حالة النضوج. يتميز هذا الموقع إلى جانب نظافته ونقائه

بصفة أخرى هي الهدوء والانعزال وهي على الأقل كما يقول البعض أفضل حالاً من سكان تلك المناطق التي تتعرض على الدوام لابتزاز الطوارق ويكمن سبب ذلك في اصولهم في حين يتمتع أهل البركت من ناحية أخرى بامتيازات محددة.

تتألف البيوت من طابقين أو ثلاثة وهي مشيدة بصورة جيدة والطين المستعمل نظيف وأملس كما أن داخل المدينة مزين بعدد من النخيل وإجمالاً فإن المدينة تعطي انطباعاً كلعبة أطفال فهي صغيرة ولطيفة ونظيفة بكل ما فيها وهي أصغر حجماً من غات-حوالي 150 داراً- ومبنية على درجة كبيرة من النظام بينما تشكل غات دائرة غير منتظمة. أثناء تجوالنا سرنا في زقاق نهايته مغلقة سرنا فيه إلى ان تمكنا من مغادرة المدينة من خلال البوابة الجنوبية. واعتقد أن للمدينة كما هو الحال مع غات اربع بوابات وفي هذه الجهة من المكان يوجد المسجد ضمن السور وهو بناء بحجم معتبر مقارنة بصغر المدينة وله منارة عالية وتم طلاؤها باللون الابيض قبل فترة قصيرة بحيث اصبح مظهره ناصعاً.



مئذنة الجامع العتيق في غات

يحظى المكان على صغر حجمه بجاذبية تجعل الاقامة فيه مريحة وان طالت مدتها. وعندما توجهنا إلى مخيمنا سرنا عبر الطريق الجنوبي هو أطول من الذي اتينا منه وقد أتاح لي ذلك فرصة رؤية جزء من النباتات الموجودة. الأرض هنا مشبعة بالاملاح كما أن أغلب الآبار الموجودة تحتوي على مياه مالحة، ولكن مع الاسف لم تكن تعمل

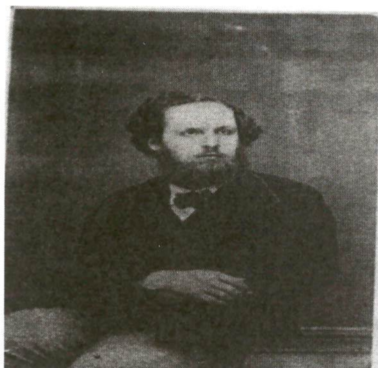
لنتمكن من رؤية كيفية التعامل معها، وعند صباح اليوم التالي شاهدت أنه بالاضافة إلى الحمير يجري استخدام العجول السودانية كذلك وكان كل شيء يشير إلى درجة عالية من الصناعة والبساتين في حالة جيدة. وفي الحقيقة فإنه بالامكان حفر ابار أكثر هنا. أما زراعة الحبوب فهي ليست واسعة وأود هنا أن أشير إلى أن مسألة زراعة كميات كبيرة من الدخن والانلي وعلاقة ذلك بالحنطة والشعير تشير بوضوح إلى ارتباط المنطقة بوسط افريقيا أكثر من شمالها. وتجري هنا ايضا زراعة كميات كبيرة من الخضروات وبعض هذه الحقول جرى تسييجها بعناية بسعف النخيل وإن لم يكن ذلك هو الحال دائماً.

هناك أعداد كبيرة من طيور الحمام تبعث الحياة في البستان الجميل من خلال لعبهم وحركاتهم على النخيل وبالامكان كذلك رؤية حمير باعداد لا بأس بها ولكن لم تسنح لي الفرصة لرؤية ابقار هنا والامتع من ذلك كله رؤية مشاهد حركة الناس اذ تسود هنا مظاهر القناعة والرفاهية وإلي حد كبير الراحة التي يتمناها المرء في حياته البسيطة كما أثار اعجابي العدد الكبير من الأكواخ المبنية بسعف النخيل (تكابر) الذي رايته وكان أكثرها مشيداً على مساحة معتبرة ويشمل عدة غرف وكلها لها سقوف مسطحة ولأغلبها شكل مستطيل ويقطنها الامغاد والميراثا وكلاهما يتبع قبائل الافركينه ويبدو أن عدداً كبيراً منهم يشتغل الآن في الخارج وبالرغم من ذلك فإن هذه النواحي مليئة

بالحياة من خلال كثرة الأطفال الصغار كما كانت كل امرأة تقريباً تحمل رضيعاً غير قادر على السير في عبائتها مربوطاً على ظهرها.

❖ ارفين فون باري (Erwinvon Barg 1877-1846)

لقد لقب نفسه اثناء رحلته باسم عبد الباري بن عبدالله ولد 1846 وهو من اسرة فرنسية عريقة وصل الى طرابلس حوالى 1875 وقد بدأ رحلته الى غات وبلاد الطوارق 1876 كما قام فون باري بكتابة مذكراته يوما فيوم وهذا ما قام بفعله عند رحلته من طرابلس الى غات وبلاد الايير وقد توفي في غات يوم 4. 10 1877. وقام د. عماد الدين غانم بجمع مقالاته الدوريات العلمية الالمانية وترجمها الى العربية ووضع دراسة عن الرحالة فون باري وصدرت الترجمة والدراسة عن مركز جهاد الليبيين في العام 1995 في كتاب بعنوان: رحلة الطبيب الالماني **ارفين** فون باري الى غات وبلاد الايير.



ارفين فون باري

يقدم **ارفين** وصفاً لغات بانها مدينة رمادية تماما ذلك انها مبنية من الطين الا انها ذات منظر جميل، اذ تعلو جدرانها خطوط مسننة في وسط المدينة وتوجد عدد من القبور الحجرية صغيرة جعلت فيها الجثث بوضعية الجلوس وتكثر هذه المقابر في غات والهقار وتدرارت ولاوجود لتماثيل في المنطقة كما توجد العديد من القبور القديمة في جبل كوكمن وقد كدست فوقها شظايا من الحجارة يتوسطها حجر كبير وفوقه بلاطة وكان معظم هذه القبور مفتوحة فهناك من يفتش هذه القبور بحثا عن الكنز وكانت العظام مبعثرة وان هذه القبور القديمة توجد بكثرة في جبل كوكمن الذي كان مركزاً سكنياً قبل نشوء غات وأما بساتينهم فهي الذي تغطيه اشجار النخيل وبرتقال واشجار ليمون التى ثم جلبها من طرابلس واشجار الرمان فهي كثيرة في مدينة غات الا ان حبتها بيضاء واهم السلع في غات وهي الحبوب والشعير التى تاتي عن طريق قوافل فزان.

اما عن القبائل التى تسكن غات فهي اربعة وهم:

1. اياجنن وهم يتكونون من ثلاثة قبائل.

أ ـ ايت تيجنن وعدد رجالهم كبير

ب ـ ايت المختار وعدد رجالهم قليل جدا ومنهم محمد الصافي

ج ـ ايت حمودن وجميع الاياجنن اصلهم من كيل الكوم

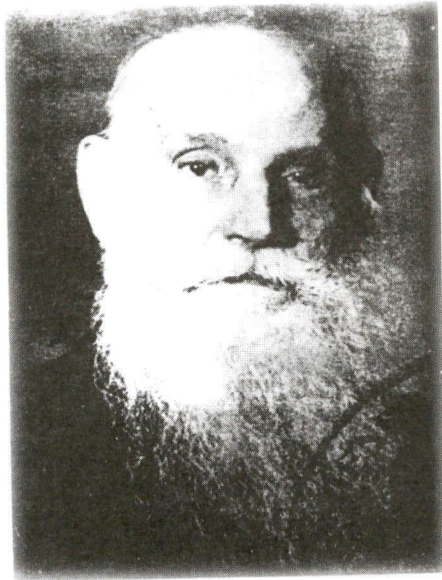
2. كيل خبسة وهم يعودون في اصلهم الى تين الكوم الا انهم ليسوا اياجنن وقبل ان تاتي هذه القبائل الى غات كان في هذه المدينة الامكمظن وكيل تلق ومازالت بقاياهم في المدينة وقد اتت هذه القبائل المذكورة بعد الفتح العربي ووجدت امامها القبيلتيين الامكمظن وكيل تلق.

الرحالة الالماني غوتلوب آدولف كراوزه (معلم موسي 1850 - 1938)

Gottlob Adolf KRAUSE

يعتبر الرحالة وعالم اللغات الافريقية كراوزه من اكثر الاوربيين اهتماماً بغات ورغم انه لم يتم بزيارتها فقد استعان بأحد ابناء غات الحاج عثمان بن عمر الذي وصل طرابلس في طريقه الى مكة وانتظر فيها الباخرة التى ستقل الحجيج الى جدة فالتقاه كراوزه الذي كان يقيم بطرابلس للمرة الثانية وعقد معه العديد من الجلسات في خريف 1879 وحثه على كتابة معلوماته عن غات ونجم عن ذلك مخطوط بعنوان " قصة غات بلسان السودان " صوره د. عماد الدين غانم من مكتبة الدولة البروسية في برلين ونشر صورة له جعله ملحقاً بكتاب الدواخل الليبية. وان المقال الذي وضعه كراوزه بعنوان " ملاحظات حول تاريخ غات في الصحراء " في 1881 ونشر ايضاً في كتاب الدواخل الليبية يعتبر اشمل وادق ماكتب عن غات في القرن التاسع عشر ومازال يحتفظ بقيمته لمن يدرس غات وزوده كراوزه بمخطط عن غات

وقائمة بآبارها وقائمة بحكامها (انظر الى قائمة الحكام والابار في الملحق ادناه) وبالعديد من االبيانات والاراء الهامة عن التجارة العابرة للصحراء وان مانورده هنا ماخوذ من دراسة كراوزه المذكوره التى ترجمها عن الالمانية د. عماد الدين غانم ونشرها في كتاب "الدواخل الليبية" في مجموعة دراسات للرحالة الالماني غوتلوب أدولف كراوزه الذي صدر 1998 ضمن منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.



الصورة الوحيدة المعروفة لكراوزه وقد حصل عليها الباحثان بروس ولاريش من جواز سفره الاخير المحفوظ في ارشيف مدينة زيوريخ يذكر كراوزه عن نشاة غات على الوجه التالي تعتبر مدينة

غات حديثة نسبياً وبموجب التاريخ الذي وضعه عنها الحاج عثمان بن عمر الغاتي إذ يقول: قبل زمان طويل كان يعيش في مدينة حيل البرس الشيخ عبد السلام شيخ الامكمظن وحامد شيخ الاسطفن في انغي وشيخ كيل تلق، في ان تنست والاياجنن في تن الكوم وكانت حيل البرس إلى الشمال الغربي وانغي تقع جنوبي غات، و في تلك الفترة كان هؤلاء يمثلون القبائل المستقرة بين طوارق الازقر غير أن القبائل انقسمت إلى قبائل متحاربة وهم الامكمظن وكيل ترات في جانب وكيل تلق والاسطفن في جانب آخر وجرت بينهم حروب أسفرت عن توجه كيل ترات إلى الامنان وهروب الاسطفن نحو توات حيث عقد صلح بين الامكمظن وكيل تلق وفي نهاية الأمر اعترفت قبيلة الامكمظن بسيادة القبيلة التي تسكن تن الكوم ويصبحون بذلك تحت حمايتهم وقبلت قبيلة كيل تلق بهذا الأمر.

وبعد ذلك توجه رجلان من الامكمظن ورجلان من كيل تلاق إلى تن الكوم وأقاموا بها ثلاثة أيام وقدمت لهم الهدايا وأقيمت على شرفهم وليمة كبيرة وقبل اهالي تن الكوم اقتراح الامكمظن وكيل تلاق بدخولهم في حمايتهم. وقد قرر اجتماع هاتين القبلتين في الوادي، وكان على أهالي تن الكوم أن يرسلوا رجلين لحضور الاجتماع حيث سيجري تحديد شروط الاتفاق لحل الوضع الجديد و قد تم الاتفاق على الرجلين حيث كانا شقيقين من الأب والأم وركب الأخ الأكبر سيدي بابا جملاً

وركب الأخ الأصغر حمودن حصاناً وعندما اصبحا على مقربة من الامكمظن وكيل تلق نصبا خيمة للمبيت فيها.

في صباح اليوم التالي أمر حمودن الأخ الأصغر رجاله بالانطلاق إلى الاجتماع ومنع رجاله من إيقاظ أخيه مـــن النوم ووصل إلى مكان الاجتماع الشعبي وبعد التـرحاب طلبوا مـــن الرجل القادم من تـــن الكوم " حمودن " أن يحدد شروطه وأمر ببناء مدينة على جبل يدعى كوكمن، وهذا هو أصل تأسيس مدينة غات وبعد ذلك وصل الأخ الأكبر سيدي بابا متأخراً و توجه أهالي قبيلة تن الكوم إلى فزان حيث يقيمون حتى الآن في ظل حماية طوارق " الازقر " وهكذا فان أهالي غات كانوا يتشكلون من أربعة قبائل وهم الاياجنن ومنهم الملك الامنوكال وكيل خبس ومنهم شيخ البلد أو كبير البلد الامغار ومن المكمظن و كيل تلق.

ويرجع تأسيس غات إلى منتصف القرن السادس عشر إذ يحدده بثلاثة قرون من الوقت الذي ألف فيه دراسته عن غات في 1881 ويجب أن لا يغفل أن اسم غات يرد في كتاب رحلة ابن بطوطة الذي اخترق الصحراء من الجنوب نحو الشمال في القرن الرابع عشر، الا ان الاهمية التى تتسم بها غات في المجال التجاري انما تعود الى موقعها وحده دون غيره فهي لاتقدم شيئا للتجارة. ومايمكن ان تقدمه عديم القيمة لقد اصبحت سوقا تجارية من الدرجة الاولي لانها مكان تجمع

تجار الصحراء وتجار الدول المتاخمة لها فيقوم هؤلاء بجلب البضائع اليها ويأخذون مايحتاجونه منها وياتي الى غات من الجنوب تجار برنو وبلاد السودان وكوار والايير ومن الغرب يفد الى غات تجار تمبكتو وتوات ومن الشمال يأتيها تجار غدامس وطرابلس وسوكنه وهون في فزان ومن الشرق تجار مرزق جالو واوجله ومصر هؤلاء هم تجار الجملة وتجار التعامل الدولي وبالاضافة اليهم يفد إلى غات بين الحين والآخر جميع قبائل الطوارق والعرب القاطنين على مسافة قريبة او بعيدة عنها فتنشط بقدومهم تجارة التجزئة وتنتظم الاسواق الكبيرة مرتين سنويا موعد اولها اثناء الفصل الحار ويدوم انعقاد كل منهما حوالى ثلاثة اشهر ان مدينة غات اصغر من ان تتمكن من توفير مكان داخل اسوارها يستوعب الاعداد الكبيرة من التجار الغرباء وبضائعهم، وفي ميدان اشيلي الواقع داخل المدينة وعلى الشارع الذي ينطلق منه الى الباب الجنوبي امي تفغغات. وفي الميدان المحاذي لهذا الشارع يقوم سوق يضم ثلاثين دكانا تعرض فيها انفس السلع للبيع. على ان السوق الرئيسي يقع جنوبي المدينة وعلى مقربة من الباب الجنوبي يقوم بازار الدواب والى الشمال الشرقي منه سوق الجلود.

ان السلع الرئيسية التى ترد من الجنوب الى غات هي الرقيق وعاج الفيل وريش النعام وتباع داخل اسوار المدينة في اماكن البيع المذكورة اعلاه وتبلغ قيمة ريش النعام الوارد من غات الى طرابلس

400000 فرنك سنويا لا يستند هذا المبلغ الى اية اسس احصائية ليس في وسعي ان احدد عدد الرقيق الذي يستقدم من الجنوب الى غات الا ان عددهم كبير.

وان البضائع التى تاتي من الجنوب الى سوق غات وحاولنا التعرف على مناطق انتاجها فاننا سنجد ان ريش النعام هو السلعة الوحيدة التى تاتي من شمال السودان وبالاحرى من المناطق الواقعة على الحدود بين الصحراء والسودان في حين ان عاج الفيل والرقيق تجلب في جزء كبير منها من ارجاء تقع جنوب المراكز التجارية لابل انها في بعض الاحيان بعيدة عنها كثيرا وهكذا ينطلق طريق تجاري من كانو الى بلاد امادوه التى تقع جنوبي نهر البنوى ويمر في البلدان التالية: زارية، كفى عبد الزنقا، اللافية، بريبري، كاري بعد ان يكون قد قطع نهر البنوى ويطرق عدد من الغاتيين هذا الطريق بانتظام.

اما عن السلع التى يستوردها التجار من الشمال الى غات يجب ان نذكر قبل كل شيء الاقمشة القطنية ثم المناشف والحرير والالبسة الجاهزة واللؤلؤ في اكثر من خمسين نوعا والمرجان والسلع الحديدية والسيوف والابر والورق والسكر والحلويات والروائح المركزة والبهارات واغلب هذه السلع والبضائع ذات نوعية سيئة جدا واما الاصناف الجيدة فلا تستورد الى الدواخل مالم تكن قد ارسلت هدية الى الحكام والربح في غات يتعلق مثله بقية الامكنه بجملة من الظروف

المتبدلة فوفرة السلعة او نقصها على عين المكان وطريقة الدفع نقدا او على الحساب او على اقساط كل هذا يؤثر في الأسعار. ويجب ان ناخذ هنا بعين الاعتبار ان هذه النسب تمثل الفرق بين اسعار السلع في طرابلس وغات ان التجار اليهود في طرابلس يشترون احيانا من وسيطين او ثلاثة يكونون قد استوفوا ارباحهم من قبل وان الارقام التى نجدها اعلاه تتضاعف اذا ما اعتبرنا اسعار البيع في المصانع وسعر البيع في غات الا انه ليس في وسع التجار المسلمين ممن يتوجهون بذاتهم الى غات ان يحققوا ربحا على وجه الدوام فالتكاليف باهظة والمنافسة كبيرة ومن لا يرغب التعامل بتجارة الرقيق فانه يتعرض للخسارة احيانا اذا ما حسب تكاليف سفره الى غات ان االبضائع التى تستورد من غات ذات اسعار متقلبة الى درجة انها لاتسمح بحساب ربح وسطي والذهب هو السلعة الوحيدة التى تتمتع بثبات تقريبي في السعر فاذا مارخص يبلغ سعر المثقال سبعة عشر ونصف واذا ارتفع سعره يبلغ ثمانية عشرة ونصف سبيلية بينما يباع في طرابلس بسعر احدى وعشرين ونصف سبيلية.

واما مايتعلق بتجارة التجزئة فانه يجدر بالذكر اولا ان عرب فزان يحضرون الى غات تمراً وحبوباً وياخذون بمقابلها حاجياتهم الضئيلة للحياة الصحراوية واما الطوارق الاهقار فانهم يحضرون ابقاراً وحميرا واغناما وماغزاً واحيانا جمالا وجبنا وسمنا وبعض الارقاء او يذهب

الغاتيون الى اديلس البلدة الرئيسية في الاهقار وياخدون ألثمة للوجوه وعمائم وقطعا اخرى للباس ومرايا وقرنفلا وسكراً وسلعا اخرى من بلاد السودان

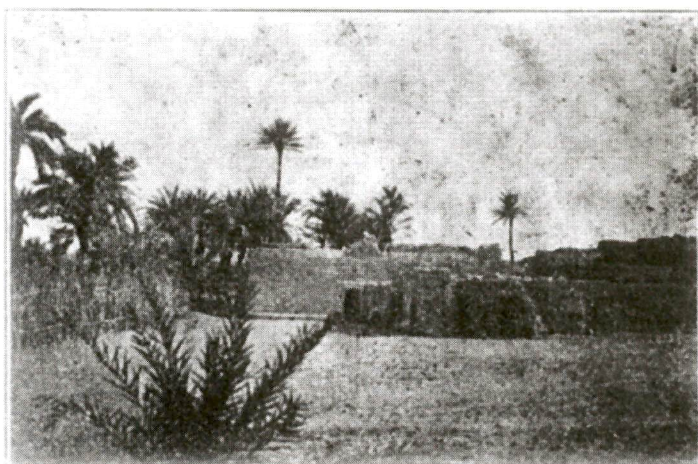
❖ رحلة محمد بن عثمان الحشائشي(توفي 1912):

وهو مؤلف الرحلة الصحراوية عبر طرابلس وبلاد التوارق التى قام بها بناء على تكليف من المركز الفرنسي دي موريس وانطلق من تونس في 10 مايو 1896 وعاد اليها في 25 فبراير 1897 وولد في تونس وعائلته من الاشراف درس في الزيتونه كتب في الصحف الجزائريه والتونسية وله العديد من الكتب وشملت رحلته طرابلس وبنغازي والكفرة ومرزق وغات ولاتعود اهمية معلوماته الى كثافتها وتنوعها بل الى القضايا التى تثير اهتمامه مقارنه بالرحالين الاوربيين

عندما اراد الحشائشي مغادرة مرزق امنت له الجمال وزود برسائل توصية من اعيان مرزق وهم سي موسي بن عثمان سالم الباله سيدى احمد المختار امام مرزق وهو شيخ شيوخ السنوسية ومعه رسالة توصية له من الكفرة نقل له علي بن عثمان من قافلة بني وليد وهو في ودان خبراً عن مقتل فرنسي عند بئر الوطية قرب غدامس على يد الشعانبة والطوارق مع مرافقه وكانوا في طريقهم الى غات قصد التجارة، واثر النبأ قرر التوجه الى غات وليس مرزق.

ويقدم وصفاً لغات تجدر مقارنته مع من سبقه ويتضح من توجهاته ان يسعى للقيام بدعاية للسياسة الفرنسية في مختلف المناطق التى زارها ولدى الاشخاص الذين حظى بمقابلتهم.

إن مدينة غات التي تشمل ثلاثة احياء واقعة على شكل مثلث، تحتوى على نحو 600 منزل، وهذه المنازل، مبنية بناء قليل المتانة، من صلصال مخلوط بالتراب وسعف النخيل، ويوجد فيها مسجدان وزاوية الشيخ السنوسي، وتوجد بئر في احد المسجدين واخرى في الزاوية وحول المساكن كثير من العيون والنخيل والطقس فيها معتدل فلا تتجاوز الحرارة فيها 45 درجة، وفيها اكسير الزنك، ومعدن الاثمد (الكحل) والنطرون، والملح من الصنف الرديء.



الزاوية في غات

ولايفتح التجار دكاكينهم بانفسهم، وهذه الدكاكين هي غرف صغيرة مبنية بالصلصال والتراب وجريد النخل، بل يكلفون عبيدهم الزنوج الدين يدعون (العتارة) بفتحها، ويقطن هؤلاء حيا منعزلا، وهم منذ عدة اجيال خدم لاهل غات، وبعد ان يفتح العبد دكان سيده يصل هذا الاخير ويجلس. ولسكان غات نفس عادات التوارق وتقاليدهم، ولغتهم.

والحاكم الحالي هو سيدي الحسن بن الحاج احمد بن سيدي حسن الانصاري، وتولى بعد موت ابن عمه سيدي الضاوي بن الحاج الامين ابن الصادق الانصاري شقيق سيدي ايوب، وبعد تخلي هذا الاخير عن الحكم، وله تحت امرته 35 جنديا يراسهم يوزباشي، ويتمتع بمرتب شهري قدره 1600 قرش، وقد ارتبطت بصداقة متينة مع سيدي علي اصغر اشقاء الحاكم وقال لي انه يرغب في ربط علاقات بين تونس وغات، ولكن بعض التوارق لايرغبون في الكف عن تعدياتهم على رعايا فرنسا، ثم عبر لي عن تعجبه من ان فرنسا لا تسعى الى الثأر لابنائها الذين اغتالهم المجرمون، فذكرت له ان فرنسا لا ترغب في التصرف بعجلة، ولكنها لن تتاخر ـ بالتاكيد ـ عن الانتقام الشديد لهذه الجرائم، وقد بقي سيدي علي بمنزلي في مرزق اربعة ايام ثم عاد الى بلده وكان جاء ليقبض مرتب شقيقه ابن عم سيدي ايوب.

وان التوارق الذين يرتكبون اعمال الخيانة والنهب والاغتيال تجاه رعايا فرنسا ينتمون جميعا الى الطبقة السفلى من هؤلاء السكان، وهذه الطبقة مستقرة قرب الحدود الفرنسية، واعيانهم لا يرتضون اطلاقا هذه الاعمال السيئة ومن وضع نفسه تحت حمايتهم بمجرد الوصول اليهم للاقامة بعض الوقت يكون في امان تام مهما كان دينه.

كان يحكم غات قبل الحاكم الحالى، الضاوي بن الحاج الامين وهو رجل عادل شريف منصف يعرف جيدا وضع الغرباء وهو شجاع كريم ذو هيبة ويضمن له اسمه وسلطته المعنوية احترام التوارق ومختلف حكام مرزق الاتراك الذين يتغيرون بسرعة كبيرة كانوا متعودين على القول: بان ذكاءه وفطنته ونفاذ بصره يمكن ان تؤهله للصدارة العظمى ،وكان ينعت في كامل فزان بالرجل العادل وعندما حاول منع اعمال النهب التى يرتكبها لصوص التوارق دبرت ضده مؤامرة فتفطن اليها ورحل الى مرزق مسلما المدينة للوالي العثماني الذي اقر فيها خمسين جنديا، واهتم سيدي الضاوي انذاك بتدعيم سلطته على التوارق، فساق منهم الى مرزق عددا من الشيوخ والاعيان الذين دبروا الاضطرابات واخلوا بالامن العام ولكن عندما احتل الاتراك المدينة سنة 1876م[1] هاجم التوارق ليلا الجنود النائمين وقتلوا عددا منهم وانسحبت بقيتهم الى مرزق.

---

(1)-بل 1875.

وتتالف حامية غات من 35 الى 40 جنديا يقودهم يوزباشي ولايقوم الجنود باعمال الحراسة ولا التمارين ويشتغل قائدهم بالتجارة ويدفع لهم سكان المدينة اجرا مقابل استخراج الماء من الابار والعمل في البناء او اصلاح المنازل، وهم مجبورون على قبول هذه الاعمال لانهم لا يتلقون من الحكومة سوى طعام غير كاف ولا يتقاضون أي جراية، وينتعل اغلبهم احذية ممزقة ويلبسون ثيابا رثة، ويقع انتدابهم عامة من فزان ويقضون اربع سنوات او اكثر في الخدمة العسكرية، ويبلغ بعضهم من العمر مايفوق الستين عاما ومجموع هذه الحامية لايمكنها الصمود في وجه ثلاثة او اربعة جنود متدربين كالذين شاهدتهم في طرابلس ويوجد من بينهم عبيد زنوج، وفي الجملة انهم في وضع بائس للغاية، والفرق الموجودة في مرزق ليست باحسن حالا منهم كما ساذكر ذلك. وقد هوجم سيدي الضاوي ذات صباح وطعن بالسيف ولم يكن يحمل سلاحا سوى خنجر صغير قتل به ثلاثة من مهاجمية، وترك مصابا بجرح مميت، فلبس جميع الرجال الخيرين ثياب الحداد على هذا الرئيس المهيب، وفي نفس الوقت الذي اغتيل فيه بهذه الطريقة كان شقيقة سيدي ايوب في توات للتجارة، وقد ترك المرحوم ابنين وجدت احدهما بمرزق يشتغل بالتجارة ،واثناء غياب سيدي ايوب تولى ابن عمه سيدي الحسن بن الحاج احمد بن حسن نيابته في الحكم وعند عودته سلم له مقاليد الحكم لانه لم يكن راغبا في الاحتفاظ

بهذا العبء وبعد ان قتل التوارق جنود سيدي الضاوي ارسلت الحكومة العثمانية متصرف فزان وهو في ذلك الوقت (ابن قدارة) فتغلب هذا العربي الذي عرف بالشجاعة والبراعة على التمرد وانتزاع المدينة من ايدي التوارق ونشر فيها الامن. ولاتدفع هذه المدينة أي اتاوة للحكومة العثمانية بل على العكس من ذلك، فان هذه الحكومة تتحمل مصاريف الاحتلال والادارة رغم ان البلاد تتمتع بموارد، ويقبض الحاكم سنويا عن كل بعير يدخل غات فرنكا واحدا، وفي كل سنة يدخل المدينة اكثر من ثلاثين الف بعير محملة، ويبلغ الدخل اذن مايقارب ثلاثين الف فرنك يقبضها الحاكم ويوزعها بين اعيان البلاد ووجوه التوارق والكاتب والقاضي ويحتفظ بربعها.

واهم تجار غات هم: ـ الحاج ابراهيم بن سليمان، والحاج عمر النفوني، والحاج عمر الاعمى، ومحمد بلخو، والحاج محمد المعمى والمنطقي وعبد القادر ابن عيسى، ثم من الغدامسية: ابناء الحاج عون الله والبشير بن عون الله بن الاكحل، واولاد الثني.

فاغلب التجار في هذه الجهات من الطرابلسيين. وفي سنة 1868م قام احد الطرابلسيين يدعى (ناصوف) برحلة الى وداي وقدم له من اجل ذلك المدعو عربيب وهو احد الرعايا الانكليز المستقرين في طرابلس اموالا، ولما كان لا يعرف الطريق استشار المدعو (ابن علوة) احد اعيان مرزق، وكان يقطن وقتها طرابلس وهو والد سي الحاج عبد

الله وسي محمد بن علوة وهما الى الان بمرزق فقال له ابن علوة كان يعرف تجارة السودان معرفة جيدة: اذا كنت مصما تصميما تاما على الرحيل فاني اتكهن لك بربح عظيم واذا ما وافقك ذلك ارسل معك احد ابنائي ورجلا يعرف الطريق معرفة جيدة وسوف تبلغ مرزق وتعود سالما فجهز ناصوف قافلة واخذ كمية كبرى من البضائع وتوجه نحو مرزق وعندما بلغها توفي ابن علوة وابنه الذي كان في القافلة لكن ناصوف واصل طريقه بمفرده وبلغ وداي بدون عائق حيث باع بضائعه باثمان باهظة واخذ عندئذ احمالا كثيرة من البضائع ورجع بها الى طرابلس حيث باع ماكلفه قرشا بخمسين قرشا. ويعتبر ناصوف اول من دخل السودان وفتح طريق وداي للطرابلسيين واقتدي به هؤلاء شيئا فشيئا فذهبوا الى وداي وبرنو، وكانم وكانو، وبقية بلدان السودان الاقصي، ويشكلون الى الان شركات تبعث سنويا قوافل الى هذه الجهات، وهم شديدو الانانية ويحسدون سكان غدامس وتوات وغات، ويبتهجون عندما يهاجم التوارق القوافل التى ليس فيها مواطنوهم، وعلى كل فستتاح لي الفرصة عندما اتحدث عن الطرابلسيين للعودة الى هذا الحسد وهذا الحقد اللذين يكنونهما. وقد التقيت عدة مرات بناصوف في منزل رئيس بلدية بنغازي وربطت بيننا صداقة وقدمت له نصائح ارتاح لها، وهو رجل بدين وقصير القامة به حول قليل يبدو متمتعا بطاقة غير عادية، ومازال في سن الخمسين مغرما بالاسفار

والمغامرات، وكان وقع ابعاده من طرابلس الى بنغازي على يد الباشا احمد راسم صحبة الذين ثاروا ضده عندما اراد فرض الخدمة العسكرية على الطرابلسيين، ولم يحظ بعد بعفوه وهو من انصار السياسة الفرنسية، وقد ذهب ثلاث مرات الى مرسيليا لبيع ريش النعام، قام كذلك سنة 1889 برحلة الى تونس والدليل على ان غات وغدامس كانتا تابعتين الى الايالة التونسية الاشارات الموجودة في بعض الاوراق الشخصية التى تركها اجداد سيدي ايوب وقد قص علي هذا الاخير انه قرا في هذه الاوراق ان جده سي الحاج احمد العربي الانصاري كان ذهب الى تونس ايام حكم محمد باي بن مراد باي وحمل معه عشرة من اجمل العبيد بقصد بيعهم فقدمهم للباي الذي اعطاه 3000 محبوب (نحو 13000 فرنك) التى يدفعها الى باي تونس، وكتب محمد باي رسالة الى والي طرابلس يوصيه فيها خيرا بالحاج احمد ويقول له: بان يراقب التجارة بين غات وتونس، ولما وصل الحاج احمد الى غات علم ان اميرها قد توفي وترك الحكم لابنه فسلم الى الوالي رسالة محمد باي فاصدر الوالي اوامره حتىلايحصل له شيء في الطريق وعندما وصل الى غات سلم الحاج احمد الى الامير الرسالة التى ارسلها باي تونس والتى مضمونها ان عائلة الانصاري يجب ان تتسلم الحكم في غات وجاء فيها: "امرنا وبطلب منا، انه كلما احتاجت هاته العائلة لشيء يجب ان تعلمكم به لكي تعينوها والسلام من محمد باي فارسل

الامير الى محمد باي هدية ورسالة شكر.وتعود امراء غات على ان يرسلوا سنويا الى باي تونس هدية تشتمل على عبيد عشرة من الرجال وعشر من النساء وخصي وجانب من الزباد، وبعض البخور السوداني، فيرد لهم باي تونس بدوره 25 قطعة قماش وثوبا من القماش الاحمر المطروز بالذهب وسيفا، وعشرين سفساري (ازارا) من الجريد، وتواصل تبادل الهدايا هذا سنين طويلة، واني متاكد انه اذا بحثنا عن وثائق الحكومة التونسية سنجد عدة رسائل في هذا الموضوع. وحكمت عائلة الانصاري غات سنة 1875م[1].

وكما نرى فان مدينة غات هي المركز التجاري للصحراء وللسودان وسكانها مسلمون يؤمنون بالله ورسوله وينتمي بعضهم الى الطريقة السنوسية وبعضهم الاخر الى طريقة مولاي الطيب، وقديما كانوا لا يتاجرون بالعبيد الا اذا كان هؤلاء وثنيين، اما من كان له دين فانهم يعتبرون ان الاتجار به حرام، ويقولون دائما انهم يستطعون قانونيا بيع وشراء السودانيين من قبائل متشو و كارم و تبعه و بوبا لانهم وثنيون ولكنهم لا يستطعون الاتجار في اهل قبائل برنووكشنكغ وكانو وعفنو ومولي وكوبر وصافي وفلات وجزء من قبيلة زكزاكة لانهم يؤمنون بالله

(1)- إن محمد الصافي وليس الضاوي الذي طلب الانضمام الى الةلاية في **1875** وعين في اثرها محمد الصافي قائمقام على غات.

الواحد، ولكن منذ سنوات لم يعد التجار يتمسكون بهذه التفرقة، واصبحوا يعاملون كل القبائل السودانية نفس المعاملة.

يوجد في مدينة غات عدة علماء يطيعون الله ورسوله واهم هؤلاء العلماء هو الشيخ سيدي الحاج محمد التبيني وهو عارف بجميع العلوم العقلية والنقلية وله معارف واسعة بالكونيات وعلم الفلك لكنه فقد بصره واصيب بسمنة مفرطة.

وقد روى لي انه اصيل الوادي الغربي في بلدة عامر، وهي قرية بين غات والسودان وفيها عدة علماء واولياء صالحين وقد درس بجغبوب في عهد الشيخ سيدي محمد السنوسي الذي يعتبره شيخه الكبير واستاذه، وقاضي المدينة هو سيدي محمد بن عبد السلام الانصاري، وهو رجل رضي الاخلاق، له ثقافة عامة واشهر الشخصيات بغات هو ولي العهد، وهو شقيق ملك غات القديم، سي ايوب بن الحاج الامين بن الحاج الصادق الانصاري، وهو اصيل قبيلة الانصار وقامته فوق المتوسط، وجميل الوجه ولونه يميل الى السواد، وله لحية كثة، وطبعه لطيف، وسيدي ايوب قليل الكلام، ولايقول قط الا اشياء هامة وحقيقية ويحب الرحلات والتجارة، وتأثيره عظيم بين اغلب التوارق وكلمته مسموعة دائما. وقد شاهدت بمرزق عند وصوله الى هذه المدينة جمعاً من الناس ينتظرون امام منزله لاستشارته في حاجاتهم ومصالحهم، ولا اعرف من بين الرجال الذين اتصلت بهم خلال رحلتي

من هو اكثر علما بالسياسة الحالية وخاصة ما يهم السياسة الفرنسية وقد قام سنة 1883 برحلة الى الجزائر حاملا اليها بضائع من غات وجلب منها عند عودته بضائع جزائرية وسمحت له هذه الرحلة بتقدير تنظيم الامة الفرنسية وجميل عدالتها وتصرفاتها المنصفة تجاه المسلمين، ورفاهيتها وثروتها، وتكون له تعلق متين بهذه الامة من اجل ذلك. وهو كثيراً ماتوجه الى التوارق ممثلين له وتوبيخات، ويحثهم على الانقطاع عن سلب الفرنسيين، وقتلهم لان فرنسا ستتمسك دائما بالانتقام لرعاياها، وسيمضي الامر الى احتلالها لاراضي التوارق، وخاصة اثر اعتدائهم الاخير على المركيز دي موريس ورفاقه، وكان ابعد مايكون عن الموافقة على هذه الفعلة الشنيعة، فلم يتاخر عن الوقوف ضد تصرفهم بحزم عندما التقى باعيان التوارق، وهكذا يسعى كل التوارق حاليا لالقاء تبعة الجريمة المرتكبة على غيرهم، لانهم شديدو التخوف من عواقب فعلتهم، ويخشون ان تقوم الجيوش الفرنسية ضدهم، وهم يتهمون سكان غدامس لان الاغتيال وقع على اراضيهم يقولون ان الغدامسية هم الذين قاموا بتحريض غادر للتوارق والشعانبة وللخائن وفي عهد ولاية احمد راسم باشا على طرابلس قام سيدي ايوب برحلة الى هذه المدينة للتجارة ولما علم المسيو فيرو قنصل فرنسا بوصوله استقدمه اليه بدون علم الباشا وكانت له معه محادثة في موضوع السياسة الفرنسية بغات وعندما علم الباشا بزيارته للقنصل

بذل جميع الجهود لاجباره على مغادرة البلاد، ولكن مودته لفرنسا لم تنقص من جراء ذلك وكان كثيرا مايقول للتوارق في اجتماعاتهم الا تكفون عن المعاملة الظالمة للرعايا الفرنسيين.

❖ **غات عند عبد القادر جامي (1878 ـ 1949) :**

اذا كانت مرزق قد خسرت دورها مع احداث رابح الزبير في 1890 كمحطة رئيسية لتجارة القوافل على الطريق الواصل بين طرابلس وبرنو وسوق رئيسي يقصده البدو والحضر وانحسرت مكانتها الى مدينة سوق محلية فان غات ظلت تحافظ على مكانتها في التجارة العابرة على مدى نيف عقدين من الزمن ونلمس ذلك مما كتبه عبد القادر جامي عن رحلته الصحراوية رفقة الانجليزي فيشر في العام 1905 وينظر الى رواياته بمزيد من الاهمية نظراً لأنه شغل منصب قائمقام غات لسنوات ثم اخيرا نائبا عن فزان في مجلس المبعوثان العثمانى وله مجموعة من المؤلفات حول ليبيا منها: "الاتراك القره مانليون وطرابلس ديار المنفي" والعديد من المقالات والدراسات. كما انه تبوأ منصب وزير الداخلية في عهد مصطفي كمال اتاتورك ونلمس مكانته ووجاهة افكاره مما تحتويه رحلته بعنوان: "طرابلس غربدن صحراء كبيرة دوغري " وترجمها المرحوم محمد الاسطى بعنوان: "من طرابلس الغرب الى الصحراء الكبرى" وقدم لها الاستاذ مصطفي المصراتي وصدرت الترجمة بطرابلس عن دار المصراتي في 1973. كما يشير الرحالة والدبلوماسي الانجليزي هانس فيشرHanns Fischer مرافق

جامي في الرحلة من طرابلس الى مرزق في العام 1906 الى نباهه جامي وغزارة معارفه وحسن تصرفه وكان جامي يمتلك آلة تصوير وثق من خلال الصور التى التقطها العديد من المعالم والمواقف والشخصيات وقد نشر الكثير من هذه الصور في المجلات العالمية ومما يذكر لعبد القادر جامي ايضا انه وضع مخططا لغات والمناطق المجاورة لها والطرق التى تنطلق منها وهو المخطط الثاني بعد ذلك الذي وضعه كراوزه في مطلع ثمانينات القرن 19 ووضعه في كتابه بالالمانية بعنوان: " نماذج من لهجة غات1883 ونشر د.عماد الدين غانم هذا المخطط في كتاب الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الالماني غوتلوب آدولف كراوزه ص 71.

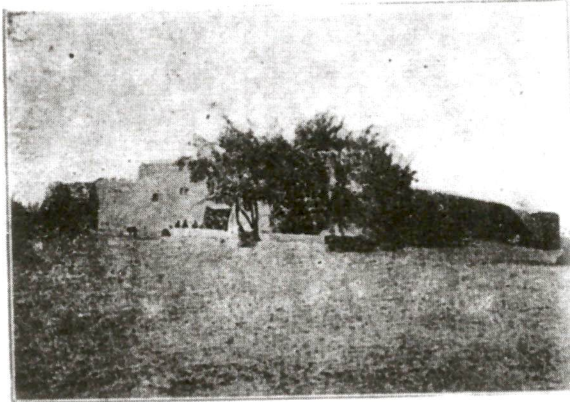
يذكر عبد القادر جامي في رحلته بان غات تعد اهم المراكز التجارية الصحراوية وملتقى طرق الشمال والجنوب وتعتبر محطة قوافل التجار من طرابلس والسودان وهي سوق للقبائل البدوية بفزان توات والموطن الاصلى لتوارق " ازقر" وتقع غات في الممر الواسع مابين جبال تاسيلي وتادرات المتكون من وادي تنزوفت الذي يتجه نحو الجنوب ثم ينحرف نحو الشمال في شكل نصف دائرة فبلدة غات وضاحيتيها وهما تدرمت وتونين مبنية في اراض سهلة متكونة من فيضانات وادي تنزوفت وعلى سفوح جبال كوكمن ويتكون من ثلاث هضاب تمتد من الشمال نحو الجنوب.

تشكل قلعة غات القديمة قلب البلدة ثم توسعت تدريجيا على مر السنين. وقد تركت هذه القلعة خالية بعد هجوم التوارق عليها ومحاصرة كتيبة عسكرية عثمانية فيها والقضاء عليها[1]. والمساكن الجديدة التى كثرت وتشعبت حول القلعة المبنية بالطين والحجارة احيطت بأسوار وبقيت غات القديمة هي القلعة التى تحتوي على عشر بيوت حولها في وسط المدينة. ووجود المسجد الكبير خارج هذه المنطقة يدل على ان القلعة والبيوت التى حولها قد بنيت قبل الفتح الاسلامي اما الجهة الاخرى التى يوجد بها المسجد والمباني يحيط بها سور ثان فقد انشئت بعد الاسلام ويرى جامى انها تعود الى القرن الرابع الهجري وما بعده وهكذا فان جامي ينظر الى غات البلدة المسورة بسور ثان غير ذلك المحيط بالقلعة بانها تعود الى القرن العاشر ومابعده ويختلف هذا عن راي ابناء البلد الذي تمثله رواية الحاج عثمان بن عمر الغاني التى يعتمد عليها كراوزه التى ترى ان نشأة غات تعود الى القرن السادس عشر (انظر اعلاه).

لقد شيد الاهالى والفلاحون في الواحة بيوتهم في مواضع مرتفعة والغرض من ذلك هو حماية انفسهم واموالهم ولازالت اثار الحصون موجودة حول بلدة غات. ويستفيد الفلاحون من منابع المياه الجارية

(1)- يقصد بذلك الهجوم الذيقام بهطوارق الازقر على غات وقتل القائمقام محمد الصافي وجميع افراد الحامية العثمانية في يوم 4 و5 اكتوبر 1886 ثم عادت اليها السلطة العثمانية في 1887.

المتعددة التى حول جبل كوكمن بنوا بيوتهم على سفوح الجبل الجنوبية ذات الانحدار العمودى واصل الاهالى الفلاحين المعتمدين على عين غات في الزراعة من المهاجرين من توات وبناء على تكاثرهم وازدياد حولهم وقوتهم فقد اعتمدوا على أنفسهم في مقاومة الاعتداءات وأسسوا مساكنهم على سفوح جبل كوكمن الجنوبية التى لاتعلو على سطح السهل الا ببضع امتار لتكون لهم خط دفاع. ويحيط بالمدينة الحديثة او القديمة سور غير حصين وهو مبني لغرض الدفاع ضد المهاجمين ومقاومة المحاصرين وانما يتكون من التصاق جدران المساكن بعضها ببعض وسد بنهاية الازقة سلسلة من الجدران ذات الانكسار والاعوجاج ولكنها سد كان ضد اعتداءات قبائل التبو والتوارق. كما توجد بها بعض الابراج تدل عى انتشار واستعمال الاسلحة النارية.



معسكر غات

اما أبواب غات فهي اربعة حسب الجهات الاربع في الجنوب يقع باب تفاغت اكبر ابوابها ان هذا الباب الكبير الذي يطل على ميدان واسع بين البساتين المحاذية للسور على طوله من الناحية الجنوبية يجاوره في الجهة اليسرى ميدان صغير تشاهد فيه جمال مربوطةعلى اعمدة خشبية وقطعان من الضأن والماعز مجتمعين حولها التجار من غات وغدامس وطرابلس يجلسون على المصاطب المبنية على حافة بمدخل الباب وترى السوداوات الداخلات والخارجات من الباب يحلمن الماء و باب تفاغت انشط محل في غات فكل ماتحمله القوافل من طرابلس وفزان والسودان وتوات تكدس. امام هذا الباب وتزيد في منظر باب تفاغت تضاعف الحركة يوم وصول قافلة كبيرة او رحيلها حيث تلاحظ البضائع التجارية المغلفة بعناية واكياس التمر والزاد و قرب الماء و صناديق الامتعة (الصحاريات) وبين هذه الاشياء كلها الاهالى ووكلاء التجار واولئك الذين اتوا لاستقبال او وداع المسافرين والتجار مما ادى الى تنافس الحمالين السود في تجاذب هذه الاشياء لحملها. كل هذه الحالة تضيف رونقا للتجار. ثم ياتى باب قلالة (كلالة) الذي هو مدخل لمحلة غدامس ويواجهه سهل رملى واسع شرقي المدينة وقد وصفة بانه كشبح مظلم ملئ بالاسرار يستفيد منه التجار في الجلوس على مصاطبه للاستمتاع بنسيم الليل المنعش، اما باب الخير في الشمال وباب الزاوية في الغرب فخاليان كلياً من الحركة.

عند دخول غات من باب تفاغت يصادفك سوق وهو عبارة عن ستة او سبعة حوانيت امامها مصاطب طويلة مفتوحة الى ميدان واسع تحتل هذه المصاطب كل يوم وقت العصر جماعات من التجار والاهالي والتوارق يشتركون يوميا في المزايدة لشراء البضائع المعروضة، اما الشارع الثاني الذي يفترق من السوق يتجه نحو الشمال يصل الى ميدان مربع اركانه الاربعة محاطة بالمساكن هذا الميدان هو سوق نساء غات حيث نشاهد النساء العتريات جالسات بجانب الجدران وهن يبعن الحبوب والبقول كالعدس واللوبيا والبازيليا وبجانب هذه البقول الجافة الخضر الطرية كالقرعة والبطيخ والباميا، الموضوعة في قفاف اما النساء السوداوات فيبعن الحطب والتمور.



مدخل بلدة غات الكبير (باب تفاغت)

إن المنسوجات القطنية والبصمة الملونة من منتوجات اوروبا واردية طرابلس وتونس وتوات الصوفية والجلود السودانية وريش النعام ووسائد الجلد والاحذية كلها تباع بالمزاد في هذا السوق. فاصحاب الحوانيت والدلالون كلهم يبيعون تجار طرابلس وغدامس عندما تدخل الى بيت تاجر طرابلسي او غدامسي يرى في اكثر الاوقات بضعة اشخاص من العرب والتوارق جالسين بين بالات الاقمشة القطنية وتشاهد احدهم وهو جالس القرفصاء ويتنافس مع التاجر وقد طرح الدراهم المختلفة الاجناس في كفه بحيث يحل الحسبة. ومن جهة اخرى فان اهم الصفقات تعقد في مساكن التجار التى هي مخازن لامتعتهم في نفس الوقت وان احد الشارعين المتفرعين من السوق يتجه الى الشرق ثم الى الشمال وينتهى الى ميدان شيلي الذي يقع شرقي الجامع الكبير والقلعة القديمة وميدان شيلي هو مجتمع احرار غات ووجهاء التوارق من القديم. وعند دخول الجامع الكبير المواجه لميدان شيلي تشاهد البئر الذي حفره اهالى غات بالات الحفر التى جلبوها من تونس بعد اضطرارهم للاستسلام الى التوارق نتيجة العطش

اما عن المساكن والمباني فان شكل البيوت وطراز انشائها وتقسيماتها الداخلية مطابقة متشابهة لجميع مباني القرى في افريقيا الشمالية وباستثناء بعض المباني فان مساكن غات وضواحيها جميعها

مبنية من الآجر اى ان مقاومة هذا الاجر للامطار النادره الهطول قليلة ولكنها بالنسبة لفروع[1] مرزق اكثر متانه وعند الدخول من الباب الخارجي وهو باب ضيق منخفض والمرور من السقيفة وهي عبارة عن رواق طويل مسقف ينتهي الى ساحة المنزل الداخلية، والسقائف تكون افضل مكان لسكان البيت حيث يستقبلون زوارهم في هذه السقيفة والسقائف عموما على شكل نفق طويل وضيق ومظلم تقريباً واما عن ساحة البيت غير مسقفة تضيؤها الشمس في جوانبها والابواب جميعها ضيقة ومنخفضة لندرة الموارد الخشبية عموما فان ابواب غات مصنوعة من الواح الخشب المعوجة المقطوعة بالفؤوس مصففة بين احزمة من الجريد ومغلفة بجلد جمل ويقطع الخشب من الاشجار الكبيرة الموجودة في وادي تاسيلى كما ان جميع بيوت غات خالية من النوافذ واكثر نوافذ هذه البيوت الحديثة مصنوعة ابوابها من خشب صناديق الشاى والشمع وغيرهما من السلع التى لازالت محتفظة بعلاماتها وارقامها وهي ضيقة ولعدم وجود الاخشاب المتينة واللجوء الى خشب النخيل والاثل القليل المتانة والمقاومة في التسقيف فان الحجرات الطويلة الضيقة التى لايدخلها النور إلا من باب ضيق واطئ المفروشة بطبقة كثيفة من الرمل الابيض والمسقفة باغصان اشجار الاثل وفروعها لها تاثير يضغط على الانسان وفي كل

---

(1)- الطين الملحي الذي يستخرج من المستنقعات.

وسط حجرة موقد مدفون في التراب يوقده الغاتيون في ليلي الشتاء الباردة ويصنع من الطين كما زين الحجرات بنقوش بدائية بسيطة. ان مياه العيون مقسمة بين الفلاحين على هئية حصص وتقسيمها لا يتبع اصول البلاد حسب قطر الانابيب بل اعتبار الزمن بالساعات والايام أي بالمناوبة اما البساتين الصغيرة التى ليس لها نصيب من مياه حيث تسقى المزروعات عن طريق الابار بواسطة الابقار وان جميع الحبوب التى تزرع في فزان تنمو هنا كما ان جميع الخضروالفواكه التى تنمو في حوض البحر الابيض المتوسط موجودة الا ان الاشجار المثمرة قليلة العدد. تمتد بساتين النخيل من الجنوب البلدة نحو الغرب وكأنها جزر خضراء في الرمال. وفي جانب بساتين غات تشاهد التكنة العسكرية المبنية بالطين بابراجها الاربعة على حافة عين تشيت وسط المثلث الذي يتكون من بلدة غات وقرية تدرمت التى يسكنها العتارة في الجنوب وقرية تونين مهاجر وتوات في الغرب ان هذه الشكنه هي الاثر الوحيد للحكم العثماني في مركز تجارة الصحراء في الحقبة الاخيرة بعد القضاء على كتيبة من الجنود العثمانيين في القلعة القديمة التى داخل القلعة اثناء تمرد التوارق. ان قرية تدرمت بأبنيتها المبعثرة هنا وهناك وجدرانها المتداعية الخربة تمثل الفقر. اما قرية تونين باسوارها وابراجها الحصينة العالية ذات الزخارف تجعل منظرها الخارجي اكثر انتظاماً من بلدة غات فهي بنظافة ازقتها واستوائها وابنيتها المنسقة

تفوق غات لان هذه الابنية قد انشئت حديثا من طرف اصحاب الثروة ومع هذا لافرق بين بيوت تونين وبيوت غات من ناحية طراز البناء والتقسيم الداخلي وتونين بفضل اسوارها وابراجها العالية وبفضل منبع الماء الموجود داخل سورها يمكنها المقاومة والدفاع لمدة طويلة ضد غارات اقوام الصحراء الذين لازالت اسلحتهم بدائية يذكر جامي ان عدد منابع المياه الكبيرة والصغيرة في جوار البلدة وضواحيها تزيد عن الخمسين ومنها عين تشيت وتونين ونابوس وهذا اقل مما يرد في قائمة ابار والعيون التى وصفها كراوزه بناء على معلومات عثمان بن عمر الغاتي والتى بلغت 92 بئراً وعيناً (انظر الملحق رقم 2).

ان بلدة غات بمواردها الثابتة اليوم بالنسبة لبلدة مرزق التى تصارع الفناء بعد توقف تجارة برنو لازالت تحتفظ بحياتها في وسط الصحراء شابة قوية تقاوم محن الدهر وحملاته. وبعد ان ربط الانجليز تجارة "كانو" بخط حديدي الى خليج غينيا من جهة وبعد ان بذل الفرنسيون جهدهم لتحويل تجارة الصحراء الى تونس من جهة اخرى وقد تحولت فعلا واخذت طريقاً اخر فماذا ايضاً سيكون مصيرها الانفراضى كمرزق وربما اسرع منها وستنسى تحت رداء الغبار الذي تكومه الاعوام.

❖ الكاتبة الالمانية اريكا دي باري (توشا) 1907 Erica de Bary[*]

ان الكاتبة الالمانية اريكا دي باري او توشا[1] حسبما كانت تعرف اثناء زياراتها المتكررة الى ليبيا على مدى عقدين من الزمن ذات اهتمامات ادبية وتقرض الشعر وعرفت باتصالات مع المثقفين الافارقة اثناء اقامتها الطويلة في فرنسا ومنهم ليوبولد سنغور رئيس السنغال الاسبق وترجمت اعمال العديد من المؤلفين من الفرنسية الى الالمانية وعرفت خاصة بترجمة مسرحيات أوجين يونسكو الى الالمانية وقامت برحلات واسعة في افريقيا وقدمت في الفترة 1957 / 1977 برفقة اسرتها او بمفردها الى ليبيا مرات متتالية وكانت الصحراء محط اهتمامها ورحلت شهوراً مع البد في الواحات وقضت فترات طويلة في غدامس وغات وسجلت انطباعاتها حولها في ستة كتب من ابرزها:

- غدامس، غدامس: مشاهدات في الصحراء واتصالات انسانية 1963

---

* حتى اكتوبر **2002** كانت على قيد الحياة اذ التقاها د. عماد الدين غانم في فرانكفورت، وكانت ذكراتها ممتازة وتحدثت له بالتفاصيل عن رحلاتها المتكررة إلى غات والأشخاص الذين تعاملت معهم وعن مجموعات الصور التي تتوفر لديها من خمسينات وستينات القرن العشرين.

(1)-أطلق عليها اسم "توشا" من جانب أهالي غات وعرفت به ومازال هذا الاسم معروفاً لدى كبار السن في غات.

- في نطاق الواحات 1963
- في جوف الرمل 1971
- جولات في تاسيلي 1971

يضاف الى ذلك تحقيقها لتقارير الرحالة ارڤين فون بارى1977. لاشك ان توشا كانت مولعة بالواحات الليبية و زارت معظمها عل الجمال واحيانا بوسائل النقل وقد شدتها غدامس الا ان معظم جهدها تركز على غات فقد زارتها سبع مرات ما بين 1957. 1971 وفي كل مرة كانت تقيم شهرين اواكثر.

لقد زارت غات لاول مرة 1957 أي بعد انسحاب القوات الفرنسية من المدينة وفي ذلك الحين كانت شاحنات قليلة تسلك الطريق بين سبها وغات واما البريد فكان يرسل مرة او مرتين في الشهر وتستعمل في نقله سيارة لاندروفر وبمثل هذه السيارة وصلت غات في اطار جولة طويلة في الصحراء المفعمة بجبها وفي المرة الاولي لم تكن تعرف العربية لكنها تحمل توصية الى الحاج مبروك الزنتاني فما من فندق وقتئذ في المدينة والسائد هو عرف الضيافة ووجدت استقبالا طيبا ومما ساعدها ان بعض الغانيين كانوا يتكلمون حسب تعبيرها فرنسية مكسرة. اثناء السفر الى غات كانت تصطحب دليلا سياحياً عن ليبيا طبع بالايطالية في العام 1929 وجدت فيه ان قبر الرحالة ارڤين فون باري في غات ـ فزوجها من اقارب الرحالة المذكورـ وتقول

انه كان يتناقل في الاسرة أن واحداً من الفرع البافارى للاسرة كان رحالة وتؤكد ان زيارتها لاعلاقة لها بذلك. وبعد تناول الطعام استفسرت من مضيفيها عن الموضوع وبررت السؤال بانه قريبها. وبعد اخذ وعطاء وتذكر قيل لها ان المانيا كان مدفونا في المقبرة الايطالية عند المدخل الشمالي قرب الطريق القادم من العوينات فتوجهت الى هناك وبعد التفتيش عثرت على القبر في وضع معقول، اذ كان بجانب تله صغيرة وكانت تحيط به سلسلة من اربع جهات. وهكذا بدأ اهتمامها بالرحالة فون بارى.

واثناء زيارتها الثانية في 1959 كان بمقدورها التفاهم بالعربية فسالت قاضي غات المتقدم في السن[1] حول فون بارى فروى عن والده انه كان يقول ان طبيباً من مالطا توفي ودفن في مقبرتنا المقبرة الاسلامية وكان يسمى نفسه عبد البارى بن عبدالله[2]. وفيما بعد نقل الايطاليون رفاته الى المقبرة الايطالية وترك هناك، في حين ان الايطالين نقلوا رفاة موتاهم جوا الى بلادهم بعد الانسحاب الفرنسي

---

(1)- لا تفصح عن اسمه على انه يمكن تحقيقه.

(2)- اثناء زيارة د. عماد الدين غانم الى غات في عام **2000**اصطحه المرحوم احمد عون الله الى موضع القبر وقال له انها مقبرة الرقيق ان شكوكا حامت حول حقيقة اعتناق فون بارى الاسلام ولا يتضمن المحضر الذي حرره محمد الصافي قائمقام غات حين وفاة فون بارى مايشير الى موضع دفنه انظر د/ عماد الدين غانم (محرر ومترجم) رحلة الطبيب الالماني ارفين فون بارى ص **30**.

وتقول انها اخذت برواية القاضي لان الخبر غير متواتر لدى الآخرين وتشير الى ان تواريخ المدينة المحفوظة في تونين قد دمرت نتيجة الجفاف والنمل والرمل[1] كانت تأمل ان تجد شيئا حوله باعتبار ان تونين لها مكانة في يومياته، وتقصد بذلك الصلة الوثيقة التى كانت تربط الرحالة خاصة بالمهدي وابنه حسن التونيني وغيرهما. وتمضي اريكا دو بارى (توشا) في سرد تتبعها لما هو معروف عن الرحالة فون بارى بعد مرور مايزيد عن ثمانين عاما حينئذ على وفاته وتقول إن القاضي اصطحبها الى بيت تابع للمدينة تسكنه التاجرة عائشة خاتو وحفيدتها واشار الى موضع من فناء البيت الذي تقيم فيه وقد صورته وفي الواقع فان فون بارى قد وصف هذا البيت فهو تحت بيت الحاكم وبابه يطابق الوصف الوارد في تقاريره. وحتى ذلك الحين كان ذكره مستمراً في هذا البيت اذ قالت عائشة ان ابنتها كانت تنام في الموضع الذي اشار اليه القاضي ولم تعد تنام فيه لان الأبيض يدق.

---

(1)- في الواقع ان مخطوطات غات مازالت محفوظة حتى يومنا لدى الاخ ابراهيم الانصاري وعلى احسن وجه وبعناية فائقة وتقدير تام لمحتوياتها. وفي نوفمبر 2007 وبحضور الاخ د. محمد الطاهر الجراري مدير عام المركز. تم الاتفاق على تصويرها وتتوفر لدى مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية صورة لمعظم محتوياتها وتشكل مادة مصدرية حول غات وتجارة القوافل لم يتهيأ الا القليل من الباحثين الاطلاع عليها

حسب تقصياتنا فقد زارت اريكا دي باري (توشا) غات في الاعوام 1957، 1959، 1960، 1971 ورصدت التغيرات التى طرات عليها واثرنا ان نذكر أهم التغيرات التى استوقفها. فهي تنطلق من انه حتى العام 1957 لم تطرأ تغيرات كبيرة على غات فالمدينة مازالت محتفظه باجزاء من السور، وفيما عدا بابين فان بقية الابواب تطرق اليها الخراب ولم يخلف الاستعماريون سوى الفقر في الجنوب الليبي. ولما كانت كثافة الابنية داخل السور زائدة جعلت المنشات القليلة التى دخلت اثناء الفترة الاستعمارية تنشأ خارج الاسوار مثل الثكنة والبريد والمحطة الصحية والمدرسة والبيوت الاستعمارية القليلة. وبذلك فان المدينة حافظت على طابعها القديم كما ان اللباس لدى الرجال والنساء ظل على ماهو ولم تعلق صور على جدران وترش الارض بالرمل لتفادي النمل. واما المطبخ ففيه جرار واوعية خشبية وطناجر ورحى وتقوم النساء بنقل الماء في الجرار ويسكن الحدادون الحي الجنوبي الخارجي ومنذ القديم كانت تدرمت حي الحدادين واما الحي الشرقي كلالة فانه مخصص للغدامسية وحتى في زمن الرحالة فون باري كان تجار غدامس ينزلون فيه ومثل هذا التقسيم يشاهد في واحات فزان وحتى في سبها تقع عين غات في تدرمت وهي موضع الماء الهام الذي هيأ نشأة المدينة منذ القديم وتتكون العين من ثلاثة احواض منفصلة الحوض الاول للشرب والثاني للاغتسال والثالث

للغسيل وكانت النساء البسيطات يردن الى العين صباحاً ومساء لجلب الماءوبعض الاسر المتميزه تمتلك اباراً خاصة.



العين الكبيرة في غات

لابد الغريب في المدينة من الاستضافة اذ لايوجد فندق او مقهى وكانت قاعة الاجتماعات في المدينة تقدم للاوربيين للنزول فيها، بينما يجد الليبيون موضعا لدى الاسر الصديقة واما السفر فلم يكن متاحاً الا لمن تتاح له سيارة قادرة على السير في الطريق الوعر، او ينتظر سيارة لاندروفر البريد من سبها التى تاتي مرة او مرتين في الشهر اذا ما وجد مقعداً فيها اذا انهارت البيوت بسبب المطر النادر فانها تصلح بسرعة كما تجري تسوية اكوام الرمل في الميادين بقطعة خشب تربط به بحبل

وتجرها النساء العتارة تأتي لهذا الغرض من البركت والفيوت وكن يرقصن ويغنين اثناء ذلك وكان الرقص منتشرا وكانت تتشكل بسرعة مجموعات وفي كل مساء يجتمعن للرقص.

في العام 1971 اتخذت الارض الواقعة جنوب غرب المدينة و هي سبخه جافة كانت تستخدم في طل الاحتلال الايطالي مطاراً تحط فيه الطيارات الصغيرة طورت الى مطار تسير اليه كل اسبوع رحلة من طرابلس الى غات عبر سبها ولم ييسر هذا حركة موظفي الدولة والتجار وزيارة الاقارب بل جعل البريد يصل بسرعة ويسَّر بالحج ونقل البضائع ولم يعودوا بحاجة الى سيارة لاندروفر لنقل البريد الى سبها على مسالك صعبة واصبحت الان تصل الخضار والفواكه والاحذية والاقمشة والالبسة والالات وحتى البورسلان كل ذلك يصل من طرابلس الى الواحة وشيدت مدرسة واسعة وحي.

وان بيوتا مصممة لاسرة اخذت تستقطب الناس من المدينة القديمة حيث كانوا منذ القديم ينحشرون فيها ودون ان يخرجوا حيواناتهم منها فانه يترددون بينها وبين بيوتهم الجديدة وحسب المناسبات ودخل الى المساكن الجديدة الغاز والكهرباء والدوش والماء الجاري واصبحت اجهزة الاذاعة جزءا من الحياة وان خطى التحديث في الطريق واخذا التقليدي يختفي من صورة غات وان اشجار الاثل التى كانت منذ القديم على جانب الطريق اختفت لتحل محلها اشجار

الكينا التى تنمو بسرعة وقد هدمت بعض اسوار البساتين. وفي مواضع اخرى المثلثات التى تزين المدينة بحجة ان الاطفال يتعرضون الى الضرر من جرائها وتلوث الرمل في الواحة بجلب المعلبات الفارغة في كل مكان وان تونين الغنية بنخلها الذي لم يمس اخذت تتداخل مع غات والتقدم يتطلب الاتاوة كما هو الحال كل مكان. وفي الخارج بالقرب من باب تونين نيصب بيت يشيد بالمواد الحديثة وان شجرة رائعة عتيقة أمام جامع تونين كان يجب ان تتراجع امام اسلاك الكهرباء. واخذ الشباب يرتدون الملابس الحديثة ويتراجع لديهم اللباس التقليدي ولوان جو الصحراء يتطلب ألبسة خفيفة واما النساء فانها ظلت اكثر وفاء للباس التقليدى الاأنهن اخذن يستعملن اقمشة جديدة، وازرق النيلة والاحمر الغامق في الالبسة بالاختفاء وبذلك تفقد احتفالات الرقص المتراجعة طابعها وكثير من الشباب اخذوا يخجلون من نشوة الرقص واخذوا يعتبرون ذلك غير لائق وغير حديث ويقلدونه والاغاني اصبحت مسجلة، يتراجع فيها وضع الجنون الذي يتمخض عن الرقص ومن ناحية اخرى يعود الماضي في وجه اخر.

ملحق رقم(1)
قائمة الحكام

1. حمودن
2. حمادي
3. العافية
4. الحاج عيدال
5. حمودن الثاني
6. الحاج محمد
7. الحاج كاف المرابط
8. أحمادو
9. الحاج كاف الثاني
10. الحاج محمد محمد الثاني
11. الحاج حتيت
12. بلقاسم
13. محمد بن اعدال
14. الحاج احمد

15. الحاج محمد الثالث الامين

16. حمودن الثالث الكرمي

17. محمد الثاني بن حفش

18. احمد اوركدا

19. محمد الثالث الشريف

20. محمد الرابع الصافي

ملحق رقم (2)

قائمة الآبار والعيون

آبار المنطقة القريبة من غات:

1. عين تت*. وهي تقع غربي المدينة في منتصف الطريق بين غات وتونين وهي تمد المدينة باجمعها بالماء
2. تنتور
3. غدوت. المالك الحاج محمد بن يوشع
4. ابريك. كيل تلق
5. ابريك. المالك المكمظن
6. تفغغات. المالك اية حمودن
7. اغوفن. المالك الامنان
8. ولتخين. المالك الامنان
9. تانوت امنان. المالك الامنان
10. تنشرمين. المالك الصديق

* ترد احيانا باسم طيط أو تشيت حسبما يكتبها جامي وتعني العين

11. تندين. المالكة عائشة بنت الحاج عمر

12. عين نابوس. المالكون وهم: الحاج ابراهيم بن سليمان و ان اية حمودن ومكي بن الحاج احمد

13. تانوت ن ربن (عربان). المالك كيل تلق

14. المطيرات. المالك الحاج ابراهيم بن سليمان

15. تندين. بئر كبير

16. عين تونين الامين المالك محمد الصافي

17. عين تدن الحاج احمد في تونين

18. عين المهدي كبيرة وجديدة (المهدي هو اكبر تاجر في تونين)

19. عين المهدي الصغيرة

20. عين اختي المهدي رحمة وفاطمة

21. عين اولاد محمد بن الحاج احمد

22. 24 ثلاثة عيون لسيدي احمادو

23. عين الحاج عبدالله الشريف. كبيرة

24. عين ثانوت نق موسى المالكون: محمد الصافي واولاد واخوات الحاج عثمان واولاد مصطفي تغدست

25. عين اولاد موسى امد رقو
26. عين السنوسي بن هيبة الغدامسي
27. بئر اولاد بلقاسم
28. عين تنبف المالك اولاد بلقاسم
29. بئر محمد بن تغدست
30. أنزر بئر كبيرة وتملكه نساء كيل تلق
31. تنبف المالك نن اية حمودن
32. تانوت نريس (ن عريس) المالك آل آية حمودن
33. تنكظوان (تن زغوان)
34. عين كبيرة في تنزون

والابار المنطقة البعيدة عن غات :

1. عين تمجوين الكبيرة
2. عين تمجوين الصغيرة
3. عين تمجوين تنضيل المالكون الحاج عثمان بن عمر والحاج محمد بنيوشع واولاد انون ددكور
4. بئر كبير في انغيان
5. بئر صغير في انغيان

6. 9 اربعة ابار عائدة لاولاد البشير في انغيان
7. عين سيدي احمد بن عمر اق عافية
8. عين عبد الرزاق
9. ثلاثة آبار لاولاد الحاج عبد الرحمن
10. 14 بئران لمحمد احمد إمام جامع غات
11. بئر الشيخ الحسيني
12. عين الحاج ابو بكر واخته
13. بئر الحاج ابو بكر
14. 19 بئران لاولاد تبلات
15. عين صغيرة يملكها شيخ الطريقة السنوسية في الجغبوب
16. بئر نساء كيل تلق
17. 23 بئر اولاد سالم بن الحاج حمَد
18. 25 ثلاثة عيون في ارض ابركان (البساتين)
19. عين تنكوي المالك محمد الشريف
20. 28 بئران تقعان في ارض تنكوي
21. 31 عينا توكيت

22. تانوت ان موسى

23. تتندخيل (تن التدخيل) كبير

24. ابريك وان مدلل

25. تنترين المالك ابن يوشع

26. بئرا انضوي

27. تنبولي

28. بئر صغير المالك حفش

29. بئر سيدي احمد اق العافية

30. عين صغيرة بالقرب من السابقة

31. تمتغت المالك اولاد عمر

32. تمتغت المالك اولاد المكمظن

33. تمتغت المالك اولاد البشير

34. بئر مريم

35. بئر الحاج حود بن احمد

36. بئر عائشة بنت البشير

37. بئر اولاد سعد شام

38. بئر اهالي تملغت

39. 50 عين المنكوش

40. بئر الامنان

41. عين كبيرة تقع في ادجيرن وهي ملك الدولة

آبار جافة:

1. بئر تندين تقوم عليه شجرة اتل كبيرة
2. تانوت اق اعدال
3. بئر بالقرب من اطلال حيل البرس

الفهرس

عيسى يوسف اللموشي

غات عند الرحالة

$5

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE